الأب سهيل قاشا

الحكمة السومرية في العراق القديم



● اسم الكتاب: **الحكمة السومرية في العراق القديم**

● تــــأليــــف: **الأب سهيل قاشا**

● **الطبعة الأولى:** كانون الثاني (يناير) **2011م**

● **الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام**

ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com

من لا يقرأ التاريخ جيداً يبقى طفلاً إلى الأبد

«شيشرون»

المقدمة

لم يكن أحد يعرف شيئاً عن السومريين قبل مائتي عام، وقلّة قليلة كانت تملك معلومات بسيطة عنهم قبل مئة عام، أما اليوم وبعد اطلاعنا على المكتشفات الأثرية الهائلة في منطقة الشرق العربي (العراق) عرفنا أن السومريين هم أول شعب تاريخي قدّم للإنسانية أكبر الانجازات الحضارية. فهو مبدع أولى الكتابات قبل خمسة آلاف عام التي ساعدت الإنسان على الخروج من عتمة عصور ما قبل التاريخ والانتقال به إلى فجر التاريخ. والسومريون هم الذين ساهموا في تأسيس المدن الأولى وأول من اكتشف العجلة التي تعتبر مع اكتشاف النار من أهم المنجزات التقنية في عالم التطور الحضاري الصناعي.

وكان لهم باع طويل في فن النحت والرسم والموسيقى، وكانت تماثيلهم تصنع من الحجارة والطين والمعادن، وروائعهم الأدبية في الشعر والملاحم لا تقل شأناً عن انجازهم الفني الجميل الذي يعتبر رائداً ونبراساً في التاريخ الأدبي العالمي والشمولي.

أما عن الحكمة أو الفلسفة ـ إن صحّ التعبير ـ فحدّث ولا حرج. فلو عدنا إلى الوراء بضعة قرون قبل الميلاد لوجدنا الحلقات الأولى من تاريخ الحكمة البشرية في وادي الرافدين، وبالذات عند السومريين، فنكتشف عندهم نُظُم الحياة وفلسفتها، وهم الذين عاشوا في تلك الربوع منذ فجر التاريخ البشري، فعبّر الإنسان السومري عن تجاربه ومعاناته اليومية بحِكَم وأمثال لا تخلو أحياناً من نقد اجتماعي وروح مرحة، تعبّر بمجموعها عن فلسفة اجتماعية ونفسية خاصة فيها الكثير من المعرفة والفهم للطبيعة الإنسانية.

ومهما كان الأمر، فإن ما أوردناه هنا ـ في هذا البحث المقتضب ـ من (الحكمة والأمثال) أو بالأحرى «الفلسفة السومرية» التي رافقت الإنسان العراقي منذ وجوده في هذا الكون ـ ولا غرو ـ فأنها وليدة الخبرة الطويلة والتفكير المتواصل.

وبعبارة أخرى، إن الحكمة السومرية، هي الحكمة الحقة، والحكمة الحقة هي الإنسانية الحقة، والإنسانية الحقة هي الحكمة الحقة.

وعليه منذ وجدت الإنسانية، وجدت معها الحكمة التي أوصلها إلينا السومريون حينما شرعوا يدونونها وينشرونها، ومن ثم أخذتها واقتبستها الأجيال المتعاقبة، جيلاً بعد جيل، تنير للشعوب طريق الرشاد والهداية.

وبهذا يكون العراقيون القدماء «السومريون» ومن بعدهم «الأكديون» و«البابليون» و«الأشوريون» قد قدموا للعالم عصارة

الفكر الفلسفي الأول الذي أنشأه بالخبرة والتفاعل بالتجربة والتعامل اليومي مع الحياة والمجتمع، وخلّدوا بذلك الإنسان العراقي فأصبح والحالة هذه، نوراً لا ينطفئ، ومعيناً لا ينضب، وتاريخاً لا يفنى وحضارة لا تندثر.

الموصل
3 أيلول 1989

تمهيـد

ترك السلف العراقي، أبناء وادي الرافدين القدماء، لأحفادهم، منجماً من التراث الفكري، غنياً بنفائس عظيمة أمكن استخراج الكثير منها في شكل مادة خام، تحتاج إلى عمليات تصفية وتنقية واختبار واختيار، للوصول إلى ما تحتوي عليه من جوهر ثمين. ومن بين ما خلف السلف من تراث فكري، العدد الكثير والمتنوع من الأمثال والحكم التي قالها حكماء سومر في أور، وأكد وبابل وآشور ونيبور وغيرها من حواضر العراق القديم، فجرت على ألسنة الناس في حياتهم اليومية، يستخدمونها في شتى المناسبات لتؤدي وظائف مختلفة.

وقد توافر على جمع هذه الأمثال بضعة من الباحثين الأجانب والعراقيين، واستطاع كل منهم على حدة، أن يعرض مجموعة الأمثال التي تيسر له جمعها بطريقته الخاصة، ونخص بالذكر منهم المطران الراحل بولس بهنام الذي نشر قصة أحيقار الحكيم

الأشوري وأمثاله. والدكتور سامي سعيد الأحمد في كتابه «السومريون وتراثهم الحضاري» والدكتور عيسى سلمان التكريتي في ترجمته لكتاب «أساطير سومرية» هذا في القديم.

أما في الحديث فالعميد عبد الرحمن التكريتي في موسوعته «جمهرة الأمثال العربية المقارنة» والأستاذ عبد الخالق الدباغ في كتابه «أمثال الموصل العامية» وغيرهما الكثيرون.

هذه المطالعات جذبتني لجمع أمثال بلدتي باخديدا، وأمثال المسيحيين في الموصل وغيرها، ثم قادتني للعمل في تراث السلف العراقي الصالح فنشرت كتابي الأول بهذا الميدان «الحكمة في وادي الرافدين» عام 1983.

وهنا أقنعتني الخبرة بشبابنا أنهم يرغبون في معرفة ما خلَّف السلف من تراث الذي طالما يقدّم إليهم مختلطاً غير خال من الشوائب وكثيراً منها ما يثير الملل، وينمي الشعور بضياع الوقت في محاولة الخروج منه بشيء نافع، وبخاصة أن الأجيال الصاعدة قد أصبحت لا تطيق غير السرعة والمعاصرة في كل تصرفاتها، ولا تبغي غير العصرنة القاتلة، فمن واجبنا نحن الذين نقدّر تراث السلف ونرى فيه نفعاً محققاً لخلفهم من الشباب، الذين يعيش أغلبهم في حيرة مقلقة تجعلهم ينخرطون في سلك اللاإنتمائية، أن نقدم لهم هذا التراث بالطريقة التي تلائمهم، وتتحقق بها فائدتهم.

ذلك ما دفعني إلى القيام بهذا البحث، الذي اخترت له من بين آلاف الأمثال العراقية القديمة التي اطلعت عليها ودرستها، رأيت أن

أحلّلها ـ ولو بسيطاً ـ تحليلاً اجتماعياً بالمعنى الشامل لكي أبيّن للقارئ العزيز «حكمة العراق القديم» أي حكمة الأسلاف الذين امتازوا، في جوانب كثيرة من تفكيرهم، بنفاذ البصيرة، وأصالة الاستنتاج، وصواب الحكم. وبذلك أكون قد حققت هدف السلف من ضرب هذه الأمثلة، وهو هداية الخلف بما أمكنهم الوصول إليه من حقائق عن طول معاناة للحياة ولما فيها من خير وشر.

ولا بدّ من تأكيد نقطة بالغة الأهمية، وهي أن هذه الأمثال التي تحمل الحكمة في طياتها، قد قيلت في الماضي البعيد، وأنه من الإنصاف أن ينظر إليها على أنها اجتهادات قوم عايشوا الطبيعة وعاشوا حياة ساذجة على سجيتهم. فلم تكن العلوم بالقدر من النمو ولا بالدرجة من الانتشار التي هي عليه في العصر الحاضر. ولذلك يجب أن ننظر إلى ما تركوه من «حكمة» ونقيّمه ونصدّر حكمنا فيه، لا بمقاييس هذا العصر، بل في إطاره الأصلي في الماضي وما ظهر فيه من معرفة لم تكن منتشرة ولا ميسرة لعامة الشعب والنظر في الظواهر الاجتماعية بغية دراستها وتقييمها، لا يكون موضوعياً ومجدياً، إلا إذا كان ذلك في الإطار الزماني الذي سادت فيه.

وربما يكون هناك من يتساءل عن جدوى دراسة تراث السلف في الوقت الذي طغى فيه العلم بكشوفه الحديثة على كل شيء، وأصبح يهيمن بتكنولوجيته على كل ناحية من نواحي حياة الإنسان المعاصر. والردّ على ذلك ليس بالأمر العسير.

فبادئ ذي بدء يمكن القول بأن من لا ماضي له، أو بمعنى أوضح من قطع الأسباب بينه وبين ماضيه، كان حاضره مهزوزاً، إذ لا قاعدة يستطيع أن يرسي عليها البناء، الذي يريد أن يقيمه ويصعد به شاهقاً في مستقبل مجهول يتطلب مزيداً من الكفاح. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن محاولة التخلص من الماضي وإن بدت ممكنة من الناحية النظرية، إلا أنها لا تبدو كذلك من الناحية التطبيقية. ذلك لأن وقائع الماضي وحقائقه تشكل الجزء الأكبر من مكونات اللاشعور في عقول المعاصرين. ولئن كانت العمليات اللاشعورية خفية ومتغلغلة في أعماق الباطن، فإن آثارها في الحياة عظيمة القوة، حتى أنها لتبلغ حدّ العنف في بعض الأحيان. فماضينا فينا بالرغم منا، يؤثر في أفعالنا وأقوالنا غير عابئ بإنكارنا إياه.

ومن ناحية أخرى، نقرر أن ما تركه السلف والخلف من أمثال، ليس في جملته إلا كل ما يثير الإعجاب ويدعو إلى الاحترام والتقدير. وقد توفرنا في بحثنا هذا على تحليل ما انتقيناه منها تحليلاً اجتماعياً، تبين منه أنها، على الرغم من قدمها، تحمل في طياتها حكمة بالغة، توصل إليها الحس المرهف، والحدس الصادق، والبصيرة النافذة. وعلى هذا الأساس يمكن اعتمادها دليل عمل نافع في الحياة.

ومهما يكن طول الوقت الذي أنفقته في قراءة آلاف الأمثال العراقية والعربية التي كوّن منها الميداني الباحث العربي في مجمعه

«مجمع الأمثال» فإني أعترف بأني قد أمضيت مع السلف العراقي الحكيم فترة ممتعة أفدت منها اجتماعياً ونفسياً، إذ زادتني استمساكاً بمبادئ كنت من ذاتي قد اتخذتها لي هادياً ومرشداً فأعانتني في كفاحي، ولا تزال تنير لي الطريق خاصة بعد أن نشرت كتابي «أحيقار حكيم من نينوى».

فإلى الأجيال العراقية الصاعدة، أقدم صفحة مشرقة من تراث أسلافهم، ليفيدوا منها ويسيروا على هديها، والله وليّ التوفيق.

دير يسوع الملك
15 شباط 2006

سـومر والحضـارة

مقدمـة

حصل الانعطاف الأول في تاريخ الإنسان عندما انتقل تدريجياً من الصيد، والالتقاط إلى الزراعة والتدجين، وهكذا نشأت أول المجتمعات المستقرة في منطقة واسعة من بلادنا في بيوت من الطين والأغصان والجلود منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد.

وفي منتصف الألف الثامن قبل الميلاد ظهرت الحضارة في وادي الفرات الأوسط، وانطلقت من مدينة الوركاء في جنوبي بلاد الرافدين في النصف الثاني من الألف السادس، الحضارة السومرية التي أنشأت المدن المسوّرة والمحصنة على امتداد الطريق التجاري بينهم بين دولة السومريين في الجنوب وسواحل البحر المتوسط والأناضول في الشمال.

وقد أبدعت في الألف الخامس نظام الكتابة المسمارية المتطور وأسست أول دولة في التاريخ لها طراز من البناء لا يزال معروفاً هو

بناء المعابد الأولى. وهي مجموعة المدن التي تحكم نفسها بنفسها وتدير شؤونها في سهل «شنعار» جنوبي العراق وهي التي كانت تؤلف عدداً من الدويلات المستقلة في الألف الرابع قبل الميلاد بما نسميه بعصر فجر السلالات.

الكتابة الأولى في سومر

ولقد بدأت المرحلة التاريخية في بلاد الرافدين قبل أن تبدأ في أي بلد آخر في العالم باختراع الكتابة التصويرية التي تطورت نحو الكتابة المقطعية المسمارية، وبتأسيس دول المدن والممالك الكبرى التي تجاوزت حدود وادي الرافدين في عهد سرجون الأكدي.

وفي هذا الوادي نشأت الزراعة والتجارة، ومنه انتشر استخدام الخيل واختراع الدولاب، وظهرت فكرة التوحيد ونظم التقويم وأبدعت الأبجدية وتطورت الكتابة وأدواتها وصنفت الكتب ونظمت المكتبات وشيدت المدارس والمعابد، وألّفت في الأدب الأعمال الخالدة ثم انتقلت هذه المنتجات الحضارية جميعها إلى الغرب الأوروبي بطريق قبرص وكريت واليونان وروما.

صفة سومري اصطلاح جغرافي

ومن اقدم اللغات تسجيلاً في بلاد الرافدين، وربما في المنطقة كلها هي السومرية، وهي من اللغات المركبة تركيباً مزجياً وفيها تلصق كلمة بكلمة أخرى أو أكثر لتركيب كلمة جديدة وتضاف إليها السوابق واللواحق والمخصصات أو المعرفات.

وقد استخدمت صفة سومري للدلالة على النسبة إلى سومر وهو اصطلاح جغرافي يدل على الاقليم الجنوبي من أرض العراق القديم، وليس لكلمة سومر أي مدلول عرقي وإنما لها مدلول جغرافي سياسي ولغوي ولذلك يمكن أن توصف الشعوب القديمة في الشرق العربي بأنها عربية اصطلاحاً، لأنها بكل بساطة وإن تكن بالأصل مصدرة من حوض البحر المتوسط، إلا أنها تتحرك على الأرض العربية في حركة دائمة عبر التاريخ من واحات الجزيرة إلى الحضر في وادي الرافدين. ومن الرحلة والتنقل إلى الإقامة والاستقرار والاستيطان وإن وصف اللغات التي تنطق بها هذه الشعوب بأنها لغات عربية ـ أرامية الأصل ـ يمكن أن يكون أكثر دقة من اصطلاح اللغات السامية حين يوضع ضمن نظرية جديدة في تاريخ اللغة العربية عبر العصور.

وتعدّ اللغات السومرية والأكادية والبابلية والأشورية والآرامية وفروعها المختلفة من أرومة واحدة مع اللغة العربية التي ورثت عناصر حضارية من هذه اللغات التي سبقتها. ودخلت في صميمها تتماوج في هذه اللغة المحكية والرسمية المنتشرة في طول البلاد العربية وعرضها.

ومن هنا، نجد أن هناك الكثير من الكلمات العربية تعود أصلها إلى اللغات السومرية والأكدية والأشورية والبابلية والآرامية مما يدل على أن الماضي الحضاري لبلاد الرافدين هو حلقة طويلة في مسيرة التاريخ العربي متصلة بمراحلها اللاحقة.

فلما أخذنا كلمة «سمسم» العربية فهي مأخوذة من الكلمة الأكادية «شمشو». ولاسم السمسم في البابلية اشتقاق طريق فهو كلمة مركبة تركيباً مزجياً من كلمتين هما «سُمن» تعني معنى الكلمة العربية «سمن» نفسها أي الدهن والزيت، والكلمة الثانية هي «شمّو» «سمن النبات» أي السمن الذي يُستخرج من النبات.

ويطلق على السمسم في اللغة السومرية مصطلحاً مركباً من ثلاث علامات أو مقاطع مسمارية سومرية هي: «شي ـ كيش ـ يا» وتعني حرفياً حب أو بذر شجرة السَّمن أو الزيت، وفي الآرامية السريانية «شمشما أو شوشما».

وقد عرفت زراعة السمسم في العراق القديم منذ أقدم عهود التاريخ إذ كان مادة غذائية أساسية كالقمح والشعير. وذكر المؤرخ اليوناني الشهير هيرودتس (القرن الخامس قبل الميلاد) في أثناء كلامه عن بابل، زراعة السمسم في العراق وبالغ في علو مرتبة هذا النبات.

وهكذا نستطيع أن نقول بأن وادي الرافدين كان موطن الحضارات الأولى التي عمّت أرجاء حوض البحر المتوسط ثم نمت بذرة الحضارة وانتشر عطاؤها في ربوعه لغة وتجارة واقتصاداً وعمراناً، وتطورت وكبرت إلى أن بلغت المرحلة التي نعيشها اليوم.

الكتابة في سلّم الحضارة الأصلية

ولقد بدأت الكتابة السومرية تصويرية ترمز فيها الصور إلى

أشياء مادية وكائنات حية، قبل أن تختص بقيمة صوتية أو لفظية. وكانت كل علامة تدل على فكرة ومع الكتابة بدأ التاريخ عندما ابتعدت شيئاً فشيئاً عن الصورة الأصلية لتجرد الأشياء وتفكر بالأصوات المنطوقة وتتوصل إلى الكتابات المقطعية، ثم الألفبائية المعاصرة. وظهرت هذه الكتابة أواخر الألف الرابع قبل الميلاد في جنوبي بلاد الرافدين، واستمر وجودها حتى عام خمسين بعد الميلاد، وكانت ألواح الطين تشكل مادة الكتابة الرئيسة عبر التاريخ الطويل الذي عرفته الكتابة المسمارية.

وكانت البدايات الأولى للكتابة السومرية تصويرية ـ كما سبق وقلنا ـ فكانت تعبر عن الأشياء بصور تعكس شكلها الحقيقي كما كانت تضمّ عدداً كبيراً من الصور المقتضبة التي تمثل الشيء الحقيقي باختصار ووضوح، وأن ترسم رأس الحيوان لتدل عليه عوضاً عن رسم هيئة الحيوان بكاملها.

ثم ظهرت الرسوم التي بدأت تبتعد تدريجياً عن الصور الأصلية، فأصبحت الأشكال تبدو أبسط تكويناً وتفقد صلتها الواضحة بالشكل الأول المتقن حتى أصبحت إشارات وعلامات بل رموزاً يدل كل واحد منها على صوت محدد أو أصوات قريبة منها.

وتعدّ هذه الكتابة التي ظهرت منذ خمسة آلاف سنة في جنوبي بلاد الرافدين من أعظم النتاجات الحضارية التي قدمها أبناء منطقة بين النهرين إلى البشرية.

وإذا علمنا بأن اللغة الأكثر بدائية كانت تقرن الصوت بالمعنى

على نحو خاص وأن اللغة نشأت أول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن، محاكاة لأصوات الطبيعية وحركاتها ثم يزيد فيها حرف أو أكثر في الصور أو القلب أو العجز.

وإننا بلا شك سنتمكن من اكتشاف أسرار حروفنا العربية نطقاً وكتابة، ومعانيها المتآلفة في ألفاظ ومفردات لا نزال نجهل الكثير الكثير مما تختزن من مدلولات ثقافية وفكرية وحضارية قادرة على دحض المزاعم التوراتية المتمثلة في كيان صهيوني بغيض ودخيل.

التأصيل اللغوي

يدرس التاريخ قصة تحرك الإنسان في الأراضي التي يعيش عليها منذ عشرات الألوف من السنين ويتوقف عند العلامات البارزة في تطور هذا الإنسان التي تشكل محطات انتقال من مرحلة إلى أخرى عبر عصوره المختلفة.

وإذا كان التداخل بين البدو والحضر طبيعياً في التاريخ العربي القديم ويشكل سمة من أبرز سيمائه فإننا نرى أن المجتمعات المدنية المستقرة في بلدان هذا الشرق جميعها تحمل ملامح النموذج الرافديني المشابهة لملامح العناصر الحالية مع الأخذ بعين الاعتبار سنوات التطور اللاحقة.

وما يهمنا هو التأسيس لمرحلة البداية التي بدأت منذ خمسة عشر ألف سنة تقريباً عندما استعادت منطقة الشرق العربي القديم دورها الحضاري الذي عاشته قبل هذا التاريخ بآلاف السنين في ظل

عصر مناخي دافئ لا يزال مستمراً حتى الآن. وعندما أنشأ هذا الإنسان البين نهريني قرى الصيادين الأولى في حوض الفرات اعتمد في تأمين غذائه على الصيد والالتقاط البريين اللذين مارسهما بكثافة وتخصص عاليين.

الجذور والأصول

ويمكن الاعتقاد بأن مجتمع سومر المدني ليس إلا من هؤلاء السكان الذين هبطوا من مناطق الجبال نحو السهول الممتدة بين دجلة والفرات في جنوب العراق وسمّوها باسم سومر وعرفت من مدنها: كيش وأوروك والوركاء حالياً ولجش وأور وسيبار.

وهذا المجتمع هو الذي حلّ فيه الانتماء إلى المدينة والمعبد محل الانتماء للقبيلة والعشيرة لأن العروق تتلاشى عندما تظهر دول المدن ولأن المجتمع المدني يتكون عادة من أصول متعددة.

مرحلة المعبد

وقد أنشأ المجتمع السومري مدنه حول المعابد التي تمثل المنشآت الأساسية في المجتمع المدني في ذلك الحين وكانت له وظيفة اقتصادية ثم تراجع دور المعبد بعد ذلك إلى المرتبة الثانية بعد الفقر في أرض سومر المستنقعية التي لم تكن فيها قبل ذلك إلا قلة من البيوت والملاجئ المبعثرة هنا وهناك.

وبقي المعبد منذ نشوئه مستوطنة تضم بين جنباتها إلى جانب المصليات، بيوت الكهان ومخازن المؤن والغلال وغرف العبيد

وورش العمل، ثم أضيف إليه في عصر النهضة السومرية بناء المدارس لتعليم وتخريج كهنة وكتاب جدد من أبناء الطبقة الثرية.

وجاءت محفوظات المدارس في المعابد غنية بالموضوعات الدينية والأسطورية وبقيت اللغة السومرية لغة المعابد المقدسة حتى عصور متقدمة مما ساعد على نشوء فهارس لغوية تشرح مفردات الكلمات السومرية باللغة البابلية فيما بعد وبهذا يكون العراقيون قد وضعوا أول معجم لغوي في العالم.

مرحلة القصر

أما المركز الآخر في المجتمع السومري فقد كان القصر الملكي الذي كان يقيم فيه الرجل الذي أوكلت إليه مهام إدارة المدينة والدولة والملك. كان الحاكم باسم ربّ المدينة أو إلهها وكان هذا المسؤول يدعى «إن» En أي سيداً ثم دعي بعد ذلك «إن سين» Ensen أي كاهناً مقدساً.

وقد زادت الوظيفة العسكرية من أهمية مهام الملك، وكانت القصور أقرب إلى الحصون إلى أي بناء آخر، وهي في مخططها تشبه المساكن الخاصة، فلها بهو مركزي واسع وقاعة استقبال واحتفالات رسمية رفعت فيها الأعمدة كما في قصر كيش.

اللغة

واللغة السومرية هي اقدم لغة معروفة في تاريخ الإنسانية، ومن

اقدم اللغات تسجيلاً بكتابة عرفت باسم المسمارية التي دونت بها ألواح أور والوركاء.

وإذا عرفنا أن المفردات اللغوية، ومنها اسما دجلة والفرات (ادجلان وبوارتوم) ليسا من اللغة السومرية وإنما يعودان إلى لغة مجتمع كان يستقر في تلك المناطق قبل السومريين بكثير لأدركنا أهمية عدم الوقوف عن أصلهم الغريب عن المنطقة كما يدّعي الكثيرون بالإضافة إلى معظم المفردات التي تتصل بالزراعة والبستنة وصنع الفخار والجلود والبناء الموجودة أيضاً في اللغة السومرية.

وكتبت ألواح هذه اللغة بكتابة تصويرية في الألف الرابع قبل الميلاد، وترمز فيها الصور إلى اشياء مادية وكائنات حية قبل أن تختص بقيمة صوتية أو لفظية كما هي الحال في كتابات جميع الشعوب الأخرى التي ظهرت على وجه كوكبنا الأرضي، ولكن المجتمع السومري هو الذي فاز بقصب الريادة في تدوين لغته، وانتقل بها إلى المرحلة المقطعية ـ كما سبق وشرحنا ـ وبالتالي قيام شعوب المنطقة التي أهدوها إنجازاً حضارياً متميزاً إلى شعوب العالم المتمدن.

وكانت الكتابة من أعظم النتاجات الحضارية التي قدمها أبناء منطقة وادي الرافدين القدماء إلى البشرية رمزاً لتفوقهم السياسي، والعسكري، والثقافي اللغوي خلال أكثر من أربع آلاف عام من عمر الحضارة.

وكلمة «فخار» تكتبها السومرية بعلامة مسمارية هي صورة

الجرة الصغيرة منذ ظهور الكتابة في المنتصف الثاني من عصر الوركاء 3500 قبل الميلاد، والشكل الصوري للجرة يصور أنواع الجرار المميزة لفخار عصر الوركاء، وعراها المعوّجة، وقد يكون من الحق التساؤل هل للفخار علاقة بالأصل العربي لكلمة فخر كمعنى عقلي له علاقة بالمعنى المحسوس الذي اسمه الفخار.

وهناك أيضاً كلمة شعر وأصل الشعر، وهل أنه من الغناء والإنشاد، ثم نقل أحد معاني هذا الجذر إلى معنى اصطلاحي هو الشعر أم العكس باعتبار أن المعنى الحقيقي المحسوس اقدم من المعنى المجازي المعقول.

ويطلق على الشعر في حضارة وادي الرافدين: شيرو بالبابلية وشير بالسومرية التي تعني الغناء والإنشاد والترنيم، ومن قبيل هذا ما جاء في المآثر العربية عن اصل أوزان الشعر أنها من الغناء وحداء الإبل. والسؤال هو هل الشعر بكسر الشين شعراً بفتحها بمعنى من المعنى، ولو قلبنا كلمة شعر بـ«رعش» على حد من قال بدلالة الألفاظ عن المعاني فهل للارتعاش علاقة بالشعر أو بالشعر وما هي هذه العلاقة؟ ونترك ذلك لمن تستهويه تلك المقاربات والمشابهات، ليكتشف ما يريد وبما يوحي له خياله.

من هم السومريون؟

لقد أظهرت الحفريات الأثرية في مواقع المدن القديمة في وادي الرافدين دجلة والفرات، أن هذه المنطقة المعروفة باسم

سومر وأكاد قطنتها بدءاً من عام 4000 قبل الميلاد شعوب عرفت باسم السومريين. ويميل بعض الباحثين إلى الرأي القائل بوجود علامات استيطان أبكر. ولكن من المؤكد أن تلك الحضارة التامة التي تكشف عنها مواقع مثل (أور) و(أريدو) و(كيش) كانت من صنع السومريين ويظهر أنهم قد هبطوا إلى الدلتا من منطقة جبلية إلى الشمال الشرقي من بلاد الرافدين أو من أواسط نهر الفرات. كما تظهر أساطيرهم أنهم وفدوا من بلاد تختلف عن البلاد التي وجدوها في وطنهم الجديد.

كان شكل الكتابة المسمارية من ابتكارهم. وهم الذين بنوا ذلك الطراز القريب من أبراج المعابد المسمى «زقورة» والذي بات سمة مميزة لمدنهم وتدل مخلفاتهم على حضارة رفيعة متطورة ذات نمط زراعي ومعابد فخمة، وكهنة، وشرائع وأدب وميثولوجيا غنية.

هذا المقطع من كتاب صموئيل هنري هوك من كتابه «ميثولوجيا الشرق أوسطية» الذي نشره عام 1963 وأعيد نشره مراراً لأن مؤلفه يهودي وهو يشكك كما رأينا بالأصول السومرية فيرفع عنها صفة الولادة المحلية ليدفع بها إلى ساحة أخرى خلف الجبال الشرقية الشمالية العراقية وهو ما فعله قبله ويل ديورانت حين قال «وليس في وسعنا رغم ما قام به العلماء من بحوث أن نعرف إلى أية سلالة من السلالات البشرية ينتمي هؤلاء السومريون، أو أي طريق سلكوه حتى دخلوا بلاد سومر. فيوجد إصرار عالمي على إعطاء السومريين

هوية أخرى وينضم إليه صموئيل نوح كريمر في كتابه «التاريخ بدأ من سومر».

ولكن سومر في واقع الحال هي المنطقة الممتدة من جنوبي بغداد إلى الخليج العربي، وهي سهول خصبة تشكلت من تراكم الطمي الذي حمله النهران دجلة والفرات وتسميه التوراة (سهل شنعار) ويذكر الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين بوضوح ما نصه:

«وكانت كلها لساناً واحداً، ولغة واحدة، وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار، وسكنوا هناك، وقال بعضهم لبعض هلمّ نصنع لبناً ونشويه شيّا، فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحجر، فكان الطين وقالوا هلمّ نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء، ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض».

ينطبق الوصف التوراتي هذا على السومريين الذين توجهوا من أواسط وادي الفرات نحو الشرق إلى الدلتا حيث أسسوا المدن الأولى ومنها بابل.

كما نلاحظ الإشارة إلى لغة واحدة، وإشارة إلى الارتحال شرقاً، وهو ما لم يأخذ به المؤرخون فهم ومزاجهم موظف ضمن المرحلة السياسية والمصلحة التي تنتج عنها لبلدهم وجيوبهم.

ونحن نريد أن نبين أن حضارة ما بين النهرين كانت واحدة وقد

قامت على المنطقة كلها فأوجدت حضارات متعاقبة مشتقة بعضها من بعض.

ونريد أن نبين أن مجموعة اللغات السامية التي انتشرت في الممالك القديمة مجموعة واحدة. وهذا ما يضعنا أما السؤال الثاني هل يقتصر تراثنا على المدوّنات باللغة العربية فقط، أم أنه يمتد إلى التراث المدوّن باللغات الأخرى: البابلية والأكدية، والسومرية والأشورية والآرامية... أي الكتب التي سبقت ظهور اللغة العربية، أو سبقت على الأقل الكتابة باللغة العربية، وأسس لخصائص النفس العربية؟! وهي مكتوبة بواحدة من اللغات السامية كالإنجيل الذي كتبه رُسُل السيد المسيح بالآرامية، وكتب ايبلا في تل مردوخ حيث عُثر على قواميس متعددة اللغات، وماذا نفعل بكتب أوغاريت حيث كشف هناك على أول أبجدية كنعانية لغوية في العالم كله؟ وماذا نفعل بأساطير ملوك سومر وأكاد وأشور وفيها ملاحم شعرية رائعة هي اصل الملاحم اليونانية التي اكتشفت في مكتبة أشور بانيبال، ومن بينها صحف نوح تروي قصّة الطوفان وقصة خلق العالم البكر؟

وقد كشفت هذه الكتب تزوير أخبار اليهود للتوراة في أكثر من موضع وذلك بالخلاف الذي قام بين نصوصها ونصوص التوراة الموضوعة.

لقد شوّه أكثر المستشرقين تراثنا من سومر وأكاد وآشور، ولنا مثل صارخ على تحيّز المؤرخين والمفكرين الغربيين القدماء في

تحاملهم على أمتنا وتصويرهم لنا من فجر نهضتنا حتى آخر الحروب الصليبية كأننا برابرة زاحفون لتقديم حضاراتنا السومرية والأكادية والبابلية والأشورية والعربية، وإصرارهم على أن الحضارة الغربية بدأت في اليونان وأن جميع الآثار السومرية والرافدينية هي يونانية أو رومانية.

الحكمة عند السومريين

إن الأجيال السومرية السحيقة في القدم، والتي عاشت في وادي الرافدين منذ أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد إنما وجدت والحكمة رائدها، والتفكير الصحيح قائدها، ولا غرو فقد وضعت أسس الحضارة والمدنية، وأشادت صروحاً للعلم والمعرفة. وهذه حكمتها نقرأها اليوم وكأننا نقرأ تعليماً لفيلسوف عظيم، ولا غرابة في الأمر، فإن أساس الفلسفة التفكير الصحيح، وحيث وجد التفكير الصحيح فهناك الفلسفة الحقة، إنهما أمران لا ينفصلان يشدّ أحدهما أزر الآخر منذ وجود التفكير الإنساني إلى يومنا هذا.

أسفرت الاكتشافات الأثرية المتواصلة التي قام بها علماء السومريات عن ظهور ثروة من الحكمة الغزيرة، تداولتها الأجيال السومرية بتعاقب العصور. وقد بلغ ما اكتشف من هذه الثروة الفكرية أكثر من 700 رقيم حتى عام 1953، وبلغت أمثالها الحكمية

زهاء ألف حكمة[1]. وقد تعقب الأستاذ ادمون غوردون دراسة هذه الرُقُم باهتمام عظيم، فظهرت لديه نتائج باهرة في هذا المضمار[2].

وبالإضافة إلى الرُقُم الكثيرة التي أتمّ دراستها ونشر نصوصها الأستاذ شيرا في مقدمة بحثه في اللغة السومرية إلى سنة 1929، تابع الأستاذ غوردون دراسة غيرها مما اكتشف في نيبور وأور وغيرهما من المدن السومرية المندثرة منذ سنة 1937 إلى سنة 1955 ولم يزل العمل جارياً في هذا الحقل وينتظر صدور تقارير مهمة في موضوع الحكمة السومرية القديمة[3].

وإذا أمكن استعراض ما اكتشف في هذا الموضوع لاحتاج الأمر إلى بحوث واسعة جداً الأمر الذي يبرهن لنا على أن الأجيال السومرية أنتجت حكمة بالغة الأهمية وأصدرت معارف غزيرة لا تقف عند حد، وإن لم يكن هذا الفيض الغزير من الحكمة فاتحة عهد الإنسانية بهذا النوع من التفكير، هي على الأقل أول حكمة إنسانية تصل إلينا من منتجات العقل البشري في تلك العصور السحيقة في القدم وبالتالي تكون الحلقة الكبرى التي تسلسلت عبر الأجيال المتعاقبة فأخذت عنها الأمم المتتابعة بعدها نمط التفكير الصحيح والمثل العليا[4].

---

(1) The Sumerians, Samuel Noah Kramer, University of Chicago Press, 1953, P. 225.

(2) Edmon Gordon, Sumerian proverbs. The University Museum, University of Pennselvania - Philadelphia, 1956, pp 5 - 7.

(3) Chiera, Edward, They wrote on clay, 2nd ed. Chicago university press, 1955.

(4) Edmon, I. Gordon, Sumerian proverbs, pp 5 - 7.

إن الحكمة السومرية لها قيمة عظمى تفوق أية قيمة أخرى لأية ناحية من نواحي الحياة، فإن (أنكي ENKI) إله الحكمة، كان قائداً ومرشداً لكل القوى العاقلة في المجتمع السومري[1]، وله قوة الخلق والتكوين والإبداع، فلا عمل عظيم يبدع في الأجيال السومرية، إلا و«أنكي» هو المبدع أو بالحري، الحكمة هي العامل المبدع لكل أمر عظيم.

قصيدة «أنكي» الحكمية: في الأدب السومري قصيدة رائعة صدرت بلسان «أنكي» وهي بالحقيقة خطاب للحكمة تعدد فيه مآثرها وأعمالها الأمر الذي يظهر عظمة قيمة الحكمة في التاريخ السومري، ولا نشك أبداً أن الحكمة السومرية بما فيها من العمق والاتزان انسابت إلى الأجيال الأكدية بعد زوال الحكم السومري فأثرت فيها تأثيراً عميقاً، ثم انتقلت إلى الأجيال الأشورية.

ولسنا بحاجة إلى إيراد قصيدة «أنكي» كلها هنا، وهي بذاتها ناقصة لتعذر قراءتها في نصوصها السومرية الأصلية وقد امّحى واندثر قسم عظيم منها، فلم تتيسر للعلماء قراءتها، وعليه سنورد ما نحن بحاجة إليه فقط في هذا المضمار ليظهر لنا قيمة الحكمة في التاريخ السومري.

إن قصيدة «أنكي وتكوين العالم» هي أعظم تصور سومري وصل إلينا، ربما تفوق قيمتها الأدبية معظم الشعر السومري، ونصها الأصلي يحتوي على 466 سطراً تقريباً، ومنها 375 سطراً

---

(1) S.N. Kramer, The Sumerians, P. 185.

كلها أو بعضها مشوّه مغمور، والقسم الواقع بين السطور 146 ـ 161 مخروم في مطلع السطر تارة، وطوراً في نهايته، وترجمت إلى الإنكليزية ونشرت لأول مرة في كتاب من تأليف صموئيل كريمر، وقد جمعت من اثنتي عشرة لوحة وقطعة، وأهمها القطعة التي تحوي لب القصيدة، وتتألف من ثمانية أعمدة نقشت أساساً على لوحة كبيرة، وتحوي نص القسم الأهم من القصيدة، وقد وجدت مكسورة إلى قطعتين الأولى في فيلادلفيا الأمريكية، والثانية في مجموعة هيلبرخت في جامعة فردريك شِلَر في فيينا، ونص القسم الأخير من القصيدة ليس جاهزاً الآن للإفادة منه، وما نشر إنما أخذ عن اللوحة الكبيرة المكسورة إلى قطعتين على الرغم من بعد الشقة بينهما[1].

تبدأ القصيدة بإضفاء المديح للإله «أنكي» ـ إله الحكمة ـ وتتخذ منه مسؤولاً عن الكون كله، وتنحدر مسؤوليته إلى خصب الأرض وإنتاجها وقطعان الغنم والأبقار وغيرها، وتسبّح بحمده كقائد ومرشد للآلهة الكبار: آنو، إنليل، نينتو. والآلهة الصغار (أنوناكي).

وتمضي القصيدة كلها مسبحة بحمد أنكي الذي هو مبدع لكل خير ومرشد لسائر القوى العاقلة في المجتمع السومري، كما أن أمماً وأقطاراً أخرى كبلاد ماغان ودلمون وميلوخا الأفريقية[2]،

(1) S.N. Kramer, The Sumerians PP.122 - 123.

(2) Kramer, pp. 276 - 278.

كانت تتخذ من أنكي قائداً ومرشداً لها فتقدم له من نفائسها ـ ما كانت ربما تخلو منه بلاد سومر ـ مما يؤيد أن القوى العاقلة في سومر وفي سائر البلاد التي لها علاقة بسومر تجارية أو اجتماعية، كانت تتخذ أنكي مرشداً لها، وملهماً لحكامها وعقلائها، وهذا عمل الحكمة بعينه. ومن المفيد لموضوعنا أن نقف عند هذه القصيدة فنطلع على بعض ما ورد فيها، الأمر الذي يظهر لنا قيمة الحكمة في الوسط السومري.

إن انكي ملك أبزو ABZU [1] القهار بجلاله يتكلم بسلطان:

1 ـ إن أبي ملك الكون أوجدني في الكون،

2 ـ وسلفي مَلَكَ البلاد جمع جميع القوى ME'S [2] ووضعها بين يدي،

3 ـ من (ايكور) بيت (إنليل) جلبت الصناع إلى أبزو في أريدو،

4 ـ أنا الزرع المثمر الذي زرعه الثور البري العظيم،

5 ـ أنا الابن البكر لـ (آن)

6 ـ أنا الزوبعة العظيمة التي تهبّ بقوّة وجبروت

7 ـ أنا سيد الأرض،

---

(1) أبزو ABZU كلمة سومرية يقابلها بالانكليزية ABYSS ومعناها لجة، هوّة. وابزو هيكل للإله أنكي في مدينة أريدو (Kramer. P. 122, 270).

(2) ME'S كلمة سومرية لم يعطها العلماء المعنى الواضح.ومن خلال شروحهم يظهر أنها (القوة).

8 ـ أنا الأخ الأكبر للآلهة

9 ـ إني جالب اليسر الكامل،

10 ـ أنا الحارس الأسمى للسماء والأرض،

11 ـ أنا الأذن والعقل لكل البلاد،

12 ـ أنا الذي أنظم العدالة مع الملك (آن) في عرشه،

13 ـ أنا الذي أصدر الحظوظ في جبل الحكمة،

14 ـ أنا (إنليل) وضع يدي إصدار الحظوظ من حيث تشرق الشمس،

15 ـ أنا الذي يؤدي له (نينتو) فريضة الطاعة

16 ـ أنا الذي دعاني (نينهورساك) بالاسم أنا قائد أنوناكي[1].

الحكمة ـ والحالة هذه ـ هي كل شيء في العالم السومري، فأن (ملك الكون) أوجدها في الكون منذ الأزل، وجمع كل القوى بين يديها فوجهت الصناع والعمال لإقامة أعمال عظيمة في البلاد، فهي الابن البكر لـ (آن) والزوجة العظيمة التي تهب بقوة وجبروت، وسيدة الأرض والأخ الأكبر للآلهة وجالبة اليسر الكامل للإنسان، والحارسة للسماء والأرض، وهي الأذن والعقل لكل البلاد تنظم العدالة مع الملك في عرشه، وتصدر الحظوظ في جبل الحكمة، وتؤدي لها الطاعة سائر الآلهة (القوى العاقلة).

---

(1) أنوناكي: يظهر من شروح العلماء أنها مجموعة الآلهة الصغار، راجع: (Kramer. pp 115 - 116).

لما كانت الحكمة، تلك السلسلة الذهبية التي تتصل حلقتها الأولى بالله، وتتوالى بقية حلقاتها مع توالي الأجيال والأزمان، كان لا بد لها من أن تعطى للبشر كافة بالطرق المستقيمة التي يرتبها العقل ويعطيها نظامها الخاص في كل جيل، وعند كل أمة، إذ بعد مرورنا بهذه الأسطر القليلة التي نطق بها أنكي (إله الحكمة. عند السومريين) أو نطقت بها الحكمة ذاتها في تلك الأجيال، نجد الحكمة تنحدر مع الأجيال جيلاً بعد جيل، وعليه لا نرى غضاضة لكتب الوحي الإلهي من أن نجد فيها عناصر الحكمة التي منحت للإنسان منذ تلك الأجيال، وعليه نجد في سفر أمثال سليمان ما يقابل معظم كلمات (أنكي) الأمر الذي يجعل تيار الحكمة منحدراً باستقامة في جميع الأجيال.

يقول أنكي:

ـ إن آبي ملك الكون جاء بي إلى الوجود في الكون. . . . ويماثلها في سفر الأمثال قول الحكيم: «الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم منذ الأزل مسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض» (أمثال 8: 22 و 23).

ويقول أنكي:

2 ـ سلفي ملك البلاد وجميع القوى ووضعها بين يدي. . . إن القوى التي جمعت بين يدي (أنكي) ليست القوى المادية بأية حال من الأحوال كما تتضح من الأسطر التابعة بل هي قوى التعقل والحكمة والمعرفة، الأمر الذي بواسطته يمكن القيام بأعمال فكرية

فائقة، وهذا ما يماثله قول الحكمة ذاتها في سفر الأمثال: «أنا الحكمة أسكن الذكاء وأجد معرفة التدابير لي المشورة والرأي، أنا الفهم لي القدرة» (أمثال 8: 12 و14).

وخاصة أن كلمة ME's السومرية تدل على قوة باطنية وفعل عقلي حيث تمنح كل موجود كيانه الوجودي الخاص وامتيازه الطبيعي.

ثم يقول أنكي مشيداً بأعماله العمرانية الحكيمة:

3 ـ من ايكور جلبت الصناع إلى أبزو في أريدو . . . إن أعمال العمران تتطلب قوة التفكير والعمل المتواصل، كون أنكي مصدر الحكمة العملية كما هو مصدر الحكمة النظرية بواسطة (القوى) التي منحه إياها (سلفه) طبقاً للفقرة الماضية، وقد نجد في قول الحكمة عند سليمان قولاً يشابهه وإن كان أبلغ منه وابعد مدى حيث تقول الحكمة: «كنت ـ عند الرب ـ صانعاً، وكنت كل يوم لذته وفرحه دائماً، قدامه فرحه في مسكونة أرضه، ولذاتي مع بني آدم» (أمثال 8: 30).

ثم ينتقل أنكي إله الحكمة، إلى الإشادة بأعماله الزراعية المثمرة فلا يعلن كونه زارعاً ناجحاً، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيدعي أنه (الزرع) بالذات وبالتالي كونه يمنح ثمرة الخير والبركة من نتاجه فيقول:

4 ـ «أنا الزرع المثمر الذي زرعه الثور البري العظيم»، وهكذا الحكمة في أمثال سليمان تشيد بثمارها فتقول: «ثمري خير من

الذهب ومن الإبريز، وغلتي خير من الفضة المختارة» (أمثال 8: 19).

الحكمة تجلب اليسر والخير للبشر، بل إنما هي الخير الأسمى، وعليه يذهب أنكي في أقواله فيقول:

9 ـ «إني جالب اليسر الكامل» وتقول الحكمة: «أنا أحب الذين يحبونني والذين يبكرون إليّ يجدونني عندي الغنى والكرامة «(أمثال 8: 17) إلى أن يقول: «في طريقي العدل أتمشى في وسط سبل الحق، فأورث محبيّ رزقاً وأملأ خزائنهم» (أمثال 8: 20 ـ 21).

وقالت أيضاً: «طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة، وللرجل الذي ينال الفهم، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص، هي أثمن من اللآلئ وكل جواهرك لا تساويها، في يمينها طول أيام وفي يسارها الغنى والمجد، طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام، هي شجرة لممسكها والمتمسك بها مغبوط» (أمثال 3: 13 ـ 18).

ولا يكتفي أنكي بما يضفيه على الأرض من خير ويسر وخصب، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيدعي أنه يبلغ عنان السماء فيقول:

10 ـ «أنا الحارس الأسمى للسماء والأرض» والحكمة الحقة هذا شأنها فإنها حقاً تحرس السماء والأرض ولا غرو أن يقول

الحكيم سليمان: «الرب بالحكمة أسس الأرض، أثبت السماوات بالفهم بعمله. انشقت اللجج وتقطر السحاب ندى» (أمثال 3 : 9).

وأنكي الدماغ المفكر للبشر حيث يقول:

11 ـ «أنا الأذن والعقل لكل البلاد». إنه (الأذن والعقل) لأن بواسطة الحكمة ذاتها تنتظم حياة البلاد والعباد، وعليه يوصي الحكيم قائلاً: «يا بني اصغ إلى حكمتي، أمل أذنك إلى فهمي، لحفظ التدابير ولتحفظ شفتاك معرفة» (أمثال 5 : 1).

جميلة هي الحكمة لكل إنسان، وأجمل منها أن تكون لدى الملوك والرؤساء وذوي المسؤوليات الكبرى، فإن أنكي يقدم الحكمة والمعرفة والعدالة للملك في عرشه وبدون أنكي لا يستطيع الملك قيادة المملكة، يقول أنكي:

12 ـ «أنا الذي أنظم العدالة مع الملك آنو في عرشه». وإننا نجد تأثير الحكمة في الملوك عند سليمان أكثر نضوجاً وأعظم شأناً، وإن كان في القولين تشابه مهم، قال الحكيم: «بي تملك الملوك وتقضي العظماء عدلاً، بي تترأس الرؤساء والشرفاء كل قضاة الأرض» (أمثال 8 : 15 و16). فبيت القصيد واحد في القولين وهو «العدالة» فإن أنكي ينظم العدالة مع الملك آنو في عرشه. والحكمة عند سليمان بها تملك الملوك وتقضي العظماء عدلاً.

والحكمة مصدر كل حظ سعيد في الحياة، وعليه يقول أنكي:

13 ـ «أنا الذي أصدر الحظوظ مع إنليل في جبل الحكمة»

ثم يردف:

14 ـ «إن إنليل وضع بين يدي إصدار الحظوظ من حيث تشرق الشمس» والحكمة تقول عند سليمان: «عندي الغنى والكرامة قنية فاخرة وحظ» (أمثال 8: 18).

ولكي نتمشى إلى ابعد من ذلك مع فكرة الحكمة السومرية نثبت فيما يلي ما اخترناه من قصيدة أنكي إله الحكمة.

يتابع أنكي بكلامه فيقول:

19 ـ بعد أن نطق السيد بأمجاده، بعد أن أشاد الأمير العظيم بمحامده، استقبلته أنوناكي بالتسبيح والتمجيد.

20 ـ أيها السيد الذي وجّه الموجودات، أيها العظيم الذي أصدر الأحكام يا أنكي العظيم.

21 ـ إن أنكي ملك أبزو بجلاله، لشدة فرحه العظيم تكلم بسلطان.

22 ـ أنا السيد.. أنا أحد الذين يأمرون بدون حذر، أنا الرفيع الأمجد.

23 ـ عند صدور أمري بنيت الرابط (مرابط الخيل) وحصّنت الحضائر.

24 ـ عندما بلغت السماء هطل غيث اليسر من السماء.

25 ـ وعندما بلغت الأرض حدث فيض عظيم، وعندما وصلت إلى مروجها اجتمعت بين يدي الآكام والربى.

26 ـ إني بنيت بيتي معبداً في المكان الطاهر، وأطلقت عليه اسماً صالحاً.

27 ـ إني رفعت أبزو معبداً (هيكلاً)... وأصدرت لها الحظ السعيد.

28 ـ إن بيتي ظلال شرفاته تمتد إلى حيث انسياب الأفعى.

29 ـ إن بيتي تظلله السنابل وأعشاب العسل، والأسماك تموج أذنابها وأمامها الشبابات الصغيرة والعصافير تغرد... تحمل أشواكها الصغيرة، إنها تأتي إليّ.

30 ـ الأغاني المقدسة والتراتيل تملأ أبزو... وقاربي... والتاج... ووعل أبزو ... وفي وسطه بهجة كبرى.

31 ـ بلدي العزيز أجمة شامخة، مدّ إليّ ذراعيه ولوى نحوي رقبته (عنقه).

32 ـ إن «كارا» يرسم طريقه، والمجاذيف متعانقه، يغني أعذب الألحان، ويملأ النهر بهجات.

33 ـ إن أغاريد قاربي صاغت لي صولجاناً من ذهب.

34 ـ أنا «أنكي» قدت قاربي... ووعل أبزو، أنا أنكي.

35 ـ يجب أن أراقب أرزه الأخضر...

36 ـ إن بلاد ماغان ودلمون نظرت إليّ باستعطاف. . . أن أنكي. . . ورسا قارب دلمون على الأرض.

37 ـ قارب ماغان كان يحمل غنى السماء، وقارب ماجيلون ميلوها نقل الذهب والفضة وجلبها إلى نيبور، وقدّمها لإنليل ملك البلاد كلها.

38 ـ إلى الذي ليس له مدينة إلى الذي ليس له فرس، قدم أنكي قطعاناً هدية.

39 ـ إلى الأمير العظيم الذي هبط بلاده أدّى أنوناكي فريضة الطاعة.

40 ـ إلى السيد الذي يتبوأ القوة ME'S العظيمة، القوة النقية الذي فتح البلاد.

41 ـ الذي قبض قرص الشمس العظيم في أريدو، المكان الطاهر، المكان العزيز.

42 ـ أنكي سيد الكون المجيد.

43 ـ إن الأمير العظيم الذي هبط بلاده جمع الزعماء العظام والكهان والمعزّمين في أريدو ولابسي الكتان في سومر، جميعهم أقاموا فرائض الدعاء في أبزو.

44 ـ إلى الأب أنكي، إلى المحل المقدس، جميعهم حثوا خطاهم، إلى مقصورة نومه، في بيت الإمارة العظيم، في تلك الربوع هم أشادوا باسمه. . . . في المعبد الشامخ. . . . في أبزو.

45 ـ إن أغاريد القارب صاغت للسيد صولجاناً مقدساً، وخضمّ البحر العظيم أدّى له الطاعة. إنها وقفت فخورة إجلالاً للملك أنكي، الأب أنكي في البلاد.

46 ـ الأمير العظيم الذي هبط بلاده، أغدق اليسر على الكون.

47 ـ إن أنكي أصدر الحظ السعيد.

48 ـ وسومر ـ الجبل العظيم ـ وزينة الكون، ملأت بالنور المتوهج فوزعت القوة على الناس من مشارق الشمس إلى مغاربها.

49 ـ إن قواك لهي قوى شامخة لا يبلغ شأوها.

50 ـ إن قلبك العميق الغور لا يدرك كنهه.

51 ـ إن جبروتك العظيم ـ ربعك ـ حيث الآلهة تمنح الوجود، لا يلمس مثل السماء.

52 ـ المليك الوليد الذي ضفر له الإكليل الخالد.

53 ـ السيد الوليد الذي رفع التاج على رأسه.

54 ـ السيد. . . هو السيد الأمثل، هو يجلس مع الملك آن على عرشه.

55 ـ ملكك. . . الجبل الشامخ، الأب إنليل.

56 ـ . . . .

57 ـ أناناكي الآلهة العظيمة . . . .

رفعت منازلها في حماك، تناولت طعامها من دوحتك الباسقة.

58 ـ أيها البيت . . . يا سومر، ليت مرابطك الكثيرة بنيت، وأقاربك تضاعفت، وليت مرابض أغنامك حصنت، وأغنامك عدت بالربوات.

59 ـ ليت شجرتك (جبفونحا) بلغت عنان السماء.

60 ـ ليت جبروتك يرفع إلى السماء.

61 ـ ليت أنوناكي يصدر الحظ السعيد في حماك.

62 ـ إنه سار إلى المعبد أور.

63 ـ أنكي ملك أبزو أصدر الحظ السعيد.

64 ـ إن ما تملكه المدينة كله صالح، الماء للتطهير، والثور الواقف بشموخ.

65 ـ إن المنصة العالية في الأكمة الرفيعة . . . . خضراء كالجبل.

66 ـ وغابة هاشور الوارفة الظلال، والذي حباك القوة بسمرة هو قوي جبار.

67 ـ إنليل الجبل الشامخ، أشاد في الكون باسمك العظيم.

68 ـ المدينة، قد أصدر إنليل لها الحظ.

69 ـ أيها المعبد أور، ليتك بلغت عنان السماء.

إن مجرد مرورنا بالأبيات المختارة من هذه القصيدة، يطلعنا على قيمة الحكمة في العالم السومري، وتؤيد لنا آنو أنكي إله الحكمة، هو القوة الوحيدة التي تسيّر كل مرافق الحياة، إنه السيد

الوحيد، والآمر الفرد، ذو الأمجاد السامقة، تستقبله كل الآلهة (قوى الكون) بالتهليل والتسبيح، يوجه الكائنات إلى أعمالها، ويصدر الأحكام، ويوزع السعد والحظوظ، ويأمر بدون حذر، وهو كما ورد في تلك الأبيات، الرفيع الأمجد الذي تبنى بأمره مرابط الخيل، وتحصّن حضائر الغنم، يرتفع إلى أعالي السماء فتهطل به الأمطار، وينحدر إلى الأرض فيفيض لها الخصب والخير، ويرمق فيها المروج فتبسم له الربى.

هذه هي النظرات التي يمكن إلقاؤها على تأثير الحكمة في العالم السومري فإنها القوة الوحيدة التي وجهت ذلك العالم السحيق في القدم أجيالاً كثيرة، وسارت مترنمة مع بقية الأجيال المتعاقبة.

وإذا ألقينا نظرة أخرى إلى الحكمة في العالم السومري يتضح لنا أن الحكمة في سومر هي حكمة الإنسان البكر، ألقت أشعتها الزاهية فأنارت بقية الأجيال التي تعاقبت بعدها.

إن السومريين كنتيجة حتمية لتأثير الحكمة في أجيالهم المتعاقبة قرروا طرق الخير، ونشروا في عالمهم الحرية والصدق والاستقامة، وأعلنوا (حقوق الإنسان) في تلك الأجيال المتقادمة، فطبقوها بصورة لم يحلم بها عصرنا الحاضر بعد واهتموا بالضعف البشري فرفعوه إلى مستوى القوة الحقة، ومجّدوا العطف والرحمة، وشجبوا ما يضادها الشر والكذب، والفوضى والجور والظلم والانحراف والقسوة والعنف، وكان ملوكهم المتعاقبون

يعتزون بكونهم نشروا في البلاد الفضائل وأسسوا العدالة والحرية، وحموا الضعيف من بطش القوي، والبائس من ظلم المتجبر، وأزالوا الشر والعدوان.

إن أحد ملوكهم المدعو «أوركاجينا» مثلاً، سجّل في سجل أعماله بكل اعتزاز أنه نشر العدل والحرية لسكان مدينة لكش المعذبين وقتاً طويلاً، كما تعاقب ملوك سومر زهاء أربعة قرون متمسكين بما توحيه الحكمة من خير وصلاح، منتصرين للفضائل الإنسانية الكاملة، محامين عن الضعيف واليتيم والأرملة.

وقد أصدر الملك «أورنامو» مؤسس السلالة الثالثة قوانينه الرائعة، وذكر في إنجازاته الخلقية بالنسبة إلى قيادة الأجيال السومرية المتعاقبة في طريق الخير والفضيلة والحكمة، وفي هذه القوانين حكم بالغة في وجوب رعاية الروح الإنسانية المثالية من رحمة وعطف نحو ضعاف البشر كالأيتام والأرامل والفقراء والمرضى وغيرهم.

وبعد زهاء قرنين، نشر الملك «لبيد ـ عشتار» قانونه الجديد وأعلن فيه آنو الآلهة ـ وخاصة آن وإنليل ـ اختارته لإمارة البلاد كي ينشر العدالة فيها، ويجلب للسومريين والأكديين كما تشير شعارات معظم الحكام السومريين إلى وجوب السير في طريق الحكمة والفضائل الإنسانية المثالية[1].

---

(1) Kramer, pp. 264 - 339.

إن الآلهة في العصور السومرية، كانت القوى العاقلة في الكون، أو بعبارة أخرى إن القوى العاقلة في الكون كانت تعبد، وهي التي تصدر الخير وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتوجه الأجيال المتعاقبة إلى طريق الخير والرشاد، مثال ذلك أن «أوتو» إله الشمس و«نانشي» إلهة لكش مثّلا أدواراً حميدة في توجيه الأخلاق البشرية إلى الخير والصلاح، والأمر بالمعروف.

وقد وصفت «نانشي» في إحدى التراتيل الدينية، أنها: «تعرف اليتيم والأرملة، وتفهم ظلم الإنسان على أخيه الإنسان، إنها أمّ اليتيم «نانشي» التي تهتم بأمر الأرملة والتي تبحث عن العدالة للفقير، الملكة التي تضم الملهوف إلى صدرها وتعدّ المأوى للتائهين».

وفي مقطع آخر من الترتيلة نفسها تصوّر حالة الإنسانية في عيد رأس السنة، «آكيتو» وإلى جانبها آلهة أخرى «نيدابا» آلهة الكتابة والإحصاء وزوجها «حيّا» أو «حايا ـ هايا» وعدد من الشهود والأنواع البشرية التي تتعرض لغضبها هي:

«أولئك البشر الذين يسيرون في طريق الخطيئة بإصرار، أولئك الذين حادوا عن المثل العليا وانتهكوا الحرمات، أولئك الذين نظروا إلى مواطن الشر نظرة الرضى، الذين ابدلوا الصغائر بالكبائر، الذين أكلوا ما ليس لهم، ولم يقولوا إنّا أكلناه[1]. الذين شربوا ما

---

(1) يقابلها في أمثال سليمان قوله في المرأة الشريرة: «أكلت ومسحت فمها وقالت لم افعل شيئاً» (أمثال 30 ـ 20).

لغيرهم ولم يقولوا إنّا شربناه، الذين قالوا إنّا سنأكل كل ما هو محرّم».

وقد ظهر ضمير «نانشي» الإنساني في السطور التالية:

«لكي تعزي اليتيم وتصون الأرملة، وتجلب الخراب للمتغطرسين، وتذلّ الأقوياء المتكبرين، «نانشي» تفحص قلوب البشر»[1].

مأساة أيوب السومري

في الأدب السومري مأساة تشبه مأساة أيوب الصديق التي وردت في العهد القديم ـ من جهة، وتحاكي مصيبة أحيقار الحكيم الآرامي كاتب الملك أسرحدون ووزير الملك سنحاريب الأشوري من جهة ثانية. فإن حكيماً سومرياً ترك قصيدة رائعة تنمّ عن ألم نفسي قاسٍ، وصبر إنساني مدهش لا يقل قيمة عن صبر أيوب وبطولة أحيقار، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تحوي عمقاً واتساعاً في التفكير وجمالاً في التعبير، التفكير في مصير الحكيم والتعبير عما أصاب الحكمة ذاتها من ألم وعذاب، وذلك قبل أن يكتب سفر أيوب بزهاء ألف سنة[2]. وقبل أن يوجد أحيقار بحقبة طويلة، ومن أمر الرجل، أنه كان غنياً وحكيماً وصالحاً، مثل أيوب وأحيقار تماماً، ابتلي بالمصائب والآلام، فاجتازها بصبر وثبات، وسكب

(1) Kramer, The Sumerians, pp. 123 - 129.

(2) Kramer, The Sumerians, p. 129.

قلبه ودموعه أمام إلهه متذللاً طالباً إليه إنقاذه من ضيقه وتعاسته، فرقّ له الإله وحوّل شقاءه إلى سعادة، والقصيدة أربعة أقسام من حيث معناها العام الأول وهو كمقدمة تعلن عظمة الإله ووجوب لجوء الإنسان إليه في الملمات، وسنورد هنا فقط ما نحتاج إلى بحثه، وقد ورد في المقدمة:

1 ـ ليشدّ الإنسان بعظمة إلهه.

2 ـ ليسبّح الشاب بحمد ربه بكلمات صادقة.

3 ـ كيف يئن من يعيش في بلاد عادلة؟ 4 ـ ليعزّ رفيقه وصديقه حيث يعيش في بيت الفناء.

5 ـ ليطيّب قلبه.

وفي القسم الثاني يعلن الحكيم تعاسته وآلامه، ويلقي بشقائه أمام إلهه، فيقول:

6 ـ أنا الرجل... أنا الحكيم، إن من يذكرني باحترام لن يفلح.

7 ـ إن كلمتي الصادقة أصبحت كذباً.

8 ـ إن الرجل الأفاك غمرني بريح الشمال.

9 ـ وقد أجبرت على خدمته.

10 ـ إن الذي يحترمني لا يخجل مني أمامك.

11 ـ إنك غمرتني بآلام تتجدد كل يوم.

12 ـ إني دخلت البيت والروح ثقيل.

13 ـ أنا الرجل. . . خرجت إلى الشوارع مكلوم الفؤاد.

14 ـ ومعي أنا الشجاع راعي الصالح غضبان يحدجني بعداء.

15 ـ إن راعي أثار ضدي قوى الشر وأنا لست عدوّه.

16 ـ وصديقي لم يقل عني كلمة صدق.

17 ـ إن صديقي كذّب كلمتي الصادقة.

18 ـ الأفاك تآمر ضدي.

19 ـ وأنت يا إلهي لم تمنعه.

(ثلاثة أسطر مخرومة)

20 ـ أنا . . . أنا الحكيم. . . لماذا أكون مرتبطاً بشباب جهال؟

21 ـ أنا. . . أنا الفطين. . . ماذا أحصى بين الجهال؟

22 ـ وطعامي . . . إن طعامي انقلب إلى جوع.

23 ـ إن في يوم التوزيع وزعت الأنصبة للجميع وكان نصيبي الألم.

(عشرة أسطر مخربة)

24 ـ يا إلهي، إني واقف

25 ـ هل أخاطبك؟ إن كلامي لأنين

26 ـ إني أخبرك عنه، هل تثير في طريقي مرارة الأنين.

27 ـ هل ينقلب نشيد إلى عويل.

(ثلاثة اسطر مخرومة)

28 ـ أواه ليت أمي التي حبلت بي ترفع عويلي أمامك.

29 ـ ليت أخي ينشد نشيد الفرح.

30 ـ دعها تعلن تعاستي الدامعة أمامك.

31 ـ دع صوت زوجتي يعلن ألمي أمامك.

32 ـ دع المولول يندب حظي العاثر.

33 ـ يا إلهي.... إن النهار يسطع بأضوائه على الغبراء، وأنا.. فنهاري ظلام.

34 ـ إن النهار يسطع، إن النهار الجميل يتألق كالشعاع.

35 ـ وأما أنا، فدموع وعويل وأنين وشكوى.

36 ـ الآلام تغمرني، كأني لم أخلق إلا للدموع.

37 ـ إن الشؤم، طوقني بذراعيه وأطبق على أنفاسي.

38 ـ الأوجاع والأمراض قد نضت جسدي.

(زهاء 22 سطراً مخرومة)

39 ـ يا إلهي... أنت أبي الذي ولدتني، ارفع رأسي.

40 ـ كعجلة مسالمة هل من إشفاق؟... وهذا الأنين 41 ـ إلى متى تهملني؟ دعني بدون حمى.

42 ـ دعني بدون دليل.

43 ـ إنهم قالوا، إن البطل الحكيم. . . ذا الكلمة المستقيمة الصالحة.

44 ـ لم يولد طفلاً صامتاً لأمه.

45 ـ إن الفتى لم يوجد لأبيه الشيخ

(14 سطراً مخرومة)

46 ـ إن الرجل. . . ومع إلهه إلى دموعه وبكائه المرّ:

47 ـ إن ذلك الفتى. . . وصل أنينه وعويله إلى قلب إلهه.

48 ـ وقَبِلَ الإله الكلمات الصادقة الطاهرة التي قدمها الفتى.

49 ـ إن الكلمات التي رفعها الفتى صلاة، سرّت إلهه وهزّت مشاعره.

50 ـ فسحب إلهه كلمة الشرّ عنه.

51 ـ القلب الذي سلمه للعذاب عاد فعانقه.

52 ـ ودفع آلامه وأوجاعه وأسقامه بعيداً عنه، بعد أن طمت وتعالت.

53 ـ الأوجاع التي ابتلاه بها أبعدها عنه.

54 ـ وأبدل حظه العاثر الذي كان قد نطق به عليه.

55 ـ إنه أبدل آلام الرجل بسرور.

56 ـ وأرسل إليه يد العطف وأرواحاً صالحة لتقوده.

57 ـ وحباه روحاً صدّيقة لتسير معه.

58 ـ لذلك عاد الرجل يشيد بعظمة إلهه[1].

لا نستطيع إلا أن نبدي شديد إعجابنا بهذه الأنفاس الحكمية الرائعة، ولو قابلناها بما ورد في سفر أيوب وبعض ما نقرأ في سفر المزامير، لوجدنا تشابهاً قوياً ومطابقة منقطعة النظير. ولوضوح تلك المطابقة بين هذه القصيدة الخالدة وهذين السفرين لم نجد للإشارة إلى الإعداد التي تطابقها. وقد أصاب علماء السومريات حين لقبوا ذلك الحكيم باسم «أيوب السومري».

أما ما يخص قصة أحيقار وحكمته في هذا الصدد، فإن قصة أحيقار ذاتها متأثرة بقصة الحكيم السومري، فإن أحيقار يحوز صفات هذا الحكيم الصالح نفسها، فأصابته النكبة مثله، وأنقذ منها بأعجوبة وخرج منتصراً على آلامه بعد أن تجرع الصبر الجميل وقتاً طويلاً، تماماً كما هي الحال عند الحكيم السومري، ولا نشك أبداً أن كاتب قصة أحيقار مطّلع على قصة الحكيم السومري، وهو متأثر بها إلى حد بعيد، وإذا استطاع علماء السومريات تلقيبه «بأيوب السومري» فيمكننا تلقيبه هنا بـ«أحيقار السومري»[2].

إن الأمة التي أحبت الحكمة رباً، وعبدت المعرفة إلهاً، استطاعت أن تصل إلى قلب قرارة الحياة الحقة فاستخرجت منها

---

(1) Kramer, The Sumerians, pp. 127 - 129.

(2) عن قصة أحيقار، راجع للتفصيل «أحيقار الحكيم» للمطران بولس بهنام، بغداد ـ 1976، وكتابنا «الحكمة في وادي الرافدين» بغداد ـ 1983.

خلاصة الحكمة البكر وأعطتها تراثاً حكمياً ثميناً للأجيال المتعاقبة بعدها، فلا غرو أن تستمد منها الأمم الأفكار الصائبة في العهود التاريخية التابعة لها، فتأثرت بها الحكمة الأكدية وعنها أخذ الأشوريون، وفي تلك البيئة نبت أحيقار الحكيم، فجاءت حكمته تحمل عناصر حكمة الأجيال التي سبقته بحقب متطاولة.

وعلى هذا الأساس نجد أن أدباً حكمياً غزيراً ودعته الأجيال السومرية بواطن تاريخها الطويل، فاكتشف ونشر في عصرنا هذا زهاء عشرين لوحة من الحكمة السومرية الأكدية وجدت في خزائن كتب أشور بانيبال في أنقاض نينوى «تل قوينجق» قرب مدينة الموصل، نشرها رولنصون، ولنغدورن، وميك، وميسنر[1]. كما نشروا أيضاً لوحتين من الأمثال الأكدية اكتشفتا في باغاز كوي[2]، إحداهما باللغتين الأكدية والحثية والأخرى في أشور (شرقاط)، وخاصة الأمثال والأساطير القصيرة الواردة على ألسنة الحيوانات، مؤرخة في عهد سرجون الثاني ملك أشور، ونقلت كذلك الأمثال الشخصية من كلا المتنين السومري والأكدي، ومن رسائل ماري، والالاخ وتل العمارنة، وخاصة المراسلات الملكية السومرية المتأخرة[3]. بالإضافة إلى كل ذلك تجد في المتحف البريطاني

---

(1) Rawlinson 11 R.P. 18 No 3. Langdon, AJSL 28 (1912) pp. 217 - 243; Meek Scattered through his «some explanatory lists and grammatical texts» RA 17 (1920) pp. 117 - 206 Meisner MAOG 111, 3 (1929) pp. 23 - 45 and 56.

(2) Weidner, KUB IV 40 and 97 translated by Ebeling MAOG IV (1928) pp. 21 - 25 and Pfeiffer, in ANET P. 425.

(3) Kramer, JCS 1 (1947) p. 35, No 215, and vandiys cp. cit. P.q and notes 18f; Gardon, Sumerian proverbs, p. 2.

أمثالاً باللغتين الأشورية والبابلية المتأخرتين، وهي معدة للنشر، وربما نشرت الآن. كما نشر الأستاذ لامبرت Lambert متون الحكمة الأكدية[1].

تتناول الحكمة السومرية سائر نواحي الحياة البشرية من روحية وأدبية ومادية، والمجموعتان اللتان أوردهما الأستاذ ادمون غوردون في كتابه «الأمثال السومرية» المستمدة مما ورد في تلك المصادر تجعلنا نعتقد اعتقاداً جازماً أن المثل السومري كان فاتحة عهد التاريخ البشري بإرسال الحكمة ونشرها بين طبقات العامة كأساس لمجتمع راقٍ كالمجتمع السومري وغيره من مجتمعات التاريخ القديم في وادي الرافدين.

ولكي نتقصى الحكمة السومرية بشكلها الصحيح ـ طبقاً للمصادر التي نحوزها ـ نتتبع العناصر الأربعة التي ذكرناها الآن، فهي كافية أن تطلعنا على لبّ تلك الحكمة التي انحدرت مع أجيال تاريخنا الطويل، وأثرت تأثيراً عميقاً في ما تركته تلك الأجيال من تفكير صحيح، ومثل عليا، وإنسانية كاملة، وإليك ذلك أيها القارئ العزيز.

إن من أهم ما تتميز به الأمثال بوجه عام هو أن مضموناتها عامة دالّة. فإذا كنت في ريب من الأخوة البشرية والإنسانية المشتركة بين جميع الأقوام والأجناس، فارجع إلى أقوالهم السائرة وأمثالهم وحكمهم ووصاياهم ونصائحهم، فإنها أكثر من أي إنتاج أدبي آخر

---

(1) Gardon, Sumerian proverbs, p 3.

تخترق قشرة الاختلافات الحضارية وفروق البيئة وتكشف أمام أعيننا طبيعة البشر الأساسية حيثما كانوا وأنّى عاشوا.

وقد جمعت الأمثال السومرية ودوّنت قبل نيف وخمسة وثلاثين قرناً، والذي لا شك فيه أن كثيراً منها قد تداولته الألسنة بالرواية الشفهية قبل أن يدوّن بقرون كثيرة، وهي خاصة بأناس يختلفون عنا في اللغة وفي البيئة الطبيعية، وفي العادات والأخلاق والسياسة والحياة الاقتصادية والتقاليد الاجتماعية والديانة. ولكن مع ذلك فإن السجية أو الخلق الذي تكشف عنه هذه الأمثال السومرية لتشبه سجايانا شبهاً عجيباً بحيث إننا لا نجد إلا بعض الصعوبة في التعرّف منها على انعكاسات ميولنا، وحوافزنا، وبواعثنا، وعيوبنا، وحيرتنا، وما ينتابنا من حيرة نفسانية.

أولاً: المثل الروحية في الحكمة السومرية

الميول الروحية في الإنسان عامة، هي صلته الوثقى بالله، ومع أن تلك الأجيال السحيقة في القدم كانت تؤله كل القوى الطبيعية، إلا أنها كانت تحمل عاطفة روحية سامية، وميولاً دينية قوية، ونزوعاً إلى ما وراء هذه المادة.

والمثل الروحية ظاهرة في سائر ما تركته من حكمة وتفكير، ولا أدلّ على ذلك من قول أحد حكماء السومريين: «من لا إله له، إنه يسير وحيداً في الطريق، تحيط به الأمراض، ويلبسه الصداع مثل الرداء»[1].

---

(1) Babylonian wisdom literature P. 7

وقد مررنا قبل قليل بقصيدة «أيوب السومري» حيث تفيض بالمثل الروحية واللجوء إلى الله إبان المحن والمصائب، ففي تلك القصيدة تجد الرجل الحكيم متعلقاً بإلهه على الرغم من أن إلهه «غمره بآلام تتجدد كل يوم»[1]. وعلى الرغم من صراخه المؤلم: «يا إلهي... إن النهار يسطع بأضوائه على الغبراء، وأنا... فنهاري مظلم»[2]. «وأما أنا ... فدموع وعويل وأنين وشكوى «الآلام تغمرني، كأني لم أخلق إلا للدموع»[3].

على الرغم من كل ذلك يصرخ إلى إلهه «يا إلهي... أنت أبي الذي ولدتني»[4].

وفي نهاية المطاف نجد «الإله» يرق لبؤسه وينقله إلى حالة السعادة الكاملة: «إن الرجل.. سمع إلهه إلى دموعه وبكائه المر»[5]. «القلب الذي أسلمه للعذاب عاد فعانقه»[6]

حقاً إن في هذه العبرات لروحية سامية قد لا نجدها إلا في الكتب المقدسة.

وفي التراث السومري أدب ديني غزير مما يبرهن على كون

---

(1) 7 - 10; ct 17 - 19. 5 - 6 and surpu VII 19 - 20.

(2) Line 33.

(3) Line 36.

(4) Line 39.

(5) Line 46.

(6) Line 51.

الإنسان في تلك العصور مشبعاً بالمبادئ الروحية والتعلق بإلهه، وقد اكتشفت قصيدة دينية رائعة بين رقم خزانة أشور بانيبال يعتقد العلماء أنها منسوبة لشخصية سومرية (شبشي ـ ميشري ـ شاكان) تمثل نمط الدعاء الذي كان يرفعه السومري لإلهه، وهي في تمجيد إله الحكمة، مطلعها (أمجد إله الحكمة)[1] نورد منها ما يلي كمثال للروحية السومرية:

لأجل ذاتي أرفع التضرع والصلاة بخشوع،
كانت الصلاة عندي هذي الذبيحة، شريعة،
كان تسبيح الإله وتمجيده بهجة لقلبي،
وكان يوم عيد الآلهة لي ربحاً وصلاحاً،
الصلاة الملكية كانت لي بهجة،
وسماع الموسيقى المقدسة أضحى لي سروراً،
وقد علّمت بلادي أن تحفظ شعائر الإله،
وأرشدت شعبي أن يسبح بحمد الإله،
كنت أتمنى أن ذلك يبهج الإله مرة،
الإله الذي يعرف نوايا الآلهة في السماء،
والذي يفهم خطوط الآلهة السفلى[2].

---

(1) Babylonian wisdom literature, p. 33

(2) Babylonian wisdom literature, p 39 - 41.

ثانياً: الحكمة والأدب السومري

تهتم الحكمة السومرية بالحياة الأدبية، اهتماماً عظيماً، ويظهر أن السومري شاعر بطبيعته، ولغة السومريين فوق كل شيء، لذلك نجد في بواطن الحكمة السومرية أقوالاً في تمجيد اللغة والأدب وما إليهما، وعند هذه الحكمة أن: «الذي لا يعرف اللغة السومرية كأنه لا يعرف شيئاً في الكون»[1].

فالحكمة تطلب إلى الكاتب أن يعرف كل شيء، ونجدها تندد بالكاتب الدعي فتقول: «إنك كاتب، ولكنك لا تعرف حتى كتابة اسمك، فيجب عليك أن تصفع وجهك بيدك»[2]. وإذا عرف الكاتب كل شيء فإنه بالحقيقة كاتب[3].

وصفات الكاتب أن تتحرك يده مع لفظه: «الكاتب الذي تتحرك يده طبعاً مع لفظه إنه بالحقيقة كاتب»[4].

وتفترض الحكمة (يداً) للكاتب «الكاتب الذي لا يد له كالمغني بدون حنجرة»[5].

ويجب أن ينظر الكاتب إلى الأمور نظرة سامية: «إنك كاتب

---

(1) Gordon, Sumerian proverbs, p 200, No 2. 37.

(2) Gordon, Sumerian proverbs, p 200, No 2. 33.

(3) Gordon, Sumerian proverbs, p 201, No 2. 38.

(4) Gordon, Sumerian proverbs, p 202, No 2. 40.

(5) Gordon, Sumerian proverbs, p 204, No 2. 43.

عندما يكون نظرك من فوق، ولكنك لست حتى إنساناً عندما يكون نظرك كمن من أسفل»[1].

ويشرح الأستاذ غوردون هذه الحكمة بقوله: «ربما يلحق العار بالكاتب وإن حاز ثقة رؤسائه ولكنه لم يحز ثقة مرؤوسيه وأقرانه[2]، إلا أننا نجد المعنى الذي أعطيناه لهذه الحكمة أكثر قرباً للصواب.

والكاتب السومري ينبغي أن يتضلع بالمعارف الواسعة الكافية لتصوغ منه كاتباً بالمعنى الصحيح، وعنوان المعرفة عندهم اللغة السومرية كما علمنا سابقاً. وهنا قول آخر هو «الكاتب الذي لا يعرف السومرية أي كاتب هو؟»[3].

وتربط الحكمة السومرية بين الكتابة والفصاحة، فالكاتب الحقيقي من كان فصيحاً غير أن هناك من يدعي الفصاحة ولكنه يتعذر عليه لفظ أبسط الحروف الهجائية، يقول أحد الأمثال بهذا الصدد: «الكاتب الذي لا يمكنه لفظ الكلمة كيف يمكنه أن يكون فصيحاً في الخطاب؟»[4].

والكاتب السومري يجب أن يفضل ملكته الكتابية على طلبه الخبز وما إليه، وعليه، تقول الحكمة في هذا المجال: «إن

---

(1) Gordon, Sumerian proverbs, p 204, No 2. 44.

(2) Gordon, Sumerian proverbs, p 204, No 2. 44.

(3) Gordon, Sumerian proverbs, p 206, No 2. 47.

(4) Gordon, Sumerian proverbs, p 207, No 2. 48.

الكويتب الذي يهتم كثيراً بطلب الطعام لمعدته لن يعير اهتماماً للكتابة»[1] وهنا نجد الحكمة تستصغر مثل هذا الكاتب عبر مخاطبته باسم المصغّر للكاتب.

وكما اهتمت الحكمة السومرية بالأدب والكتابة، اهتمت كذلك بالفن، وخاصة الغناء، فهناك صفات خاصة للمغني السومري. فقد ورد في إحدى الحكم «إذا المغني أتقن الأناشيد وأدّى المقاطع بدقة هو بالحقيقة مغنّ»[2]. وطبعاً يتطلب الغناء صوتاً رخيماً، فتقول الحكمة: «المغني الذي ليس صوته رخيماً إنه مغنٍ فاشل»[3]. وورد في حكمة أخرى: «عندما يكون المغني ذا صوت رخيم إنه بالحقيقة مغنّ»[4].

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية

إن القسم الأكبر والأوسع من الحكمة السومرية يتناول سائر نواحي الحياة الاجتماعية، كالعمل والتصرف الشخصي للإنسان، وعلاقته بأخيه الإنسان وتوجيه نظره إلى طرق الخير والصلاح وما إلى ذلك من الأمور التي تواجه الإنسان كل يوم في حياته.

تعلم الحكمة، بأن يحتفظ كل امرئ ما نشأ عليه من العمل، فالتحول من عمل إلى آخر أمر يفقد الإنسان مؤهلاته الخاصة التي

---

(1) Gordon, Sumerian proverbs, p 210, No 2. 35.

(2) Gordon, Sumerian proverbs, p 201, No 2. 39.

(3) Gordon, Sumerian proverbs, p 202, No 2. 41.

(4) Gordon. Sumerian proverbs, p 214, No 2. 57.

غرستها فيه الطبيعة، فإذا احتقر العامل عمله، فلا العمل يجديه نفعاً ولا هو يجدي نفعاً للعمل، وخاصة العمل الجديد الذي يتحول إليه، فالحكمة السومرية تقول: «من العار أن يصير الكاتب معزّماً، ومن العار أن يصبح المغني ضارباً بالبوق، ومن العار أن يصبح الكاهن نافخاً بالمزمار، ومن العار أن يصير التاجر فناناً، ومن العار أن يصبح النجّار غزّالاً، ومن العار أن يصبح الصائغ رجل المنجل، ومن العار أن يصبح المعمار حمالاً للطين»[1].

والخيانة أمر مكروه لدى الإنسان الكريم، أما السومري فيعلق الأمر بأحد الآلهة كأنه الرقيب على مآتي الإنسان الكريم، فالحكمة تقول بهذا الصدد: «إذا بدت الخيانة مرة فكيف يغفل عنها «أوتو» مرة ثانية»[2].

والأمانة عندهم أساس العمران بينما الخيانة سبب الخراب، فتقول الحكمة بهذا المجال: «البيت يبنى بيد رجل أمين ويهدم بيد رجل خائن»[3].

العدو المقهور كائن بائس يستحق العطف، وعليه تعلّم الحكمة السومرية الإنسان الترفع عن إيذائه بعد اندحاره، تقول: «كيف تقطع عنق من عنقه مقطوع؟»[4].

(1) Gordon, Sumerian proverbs. p 211, No 2. 54.

(2) Gordon, Sumerian proverbs. p 41, No 1. 2.

(3) Gordon, Sumerian proverbs. p 42, No 1. 3.

(4) Gordon, Sumerian proverbs. p 42, No 1. 3.

وأن تترفع كذلك عن طلب شيء ممن لا يملكه: «لا تقل لنينكشزيدا ـ إلهة العدم ـ أعطيني الحياة؟»[1].

لأن هذه الإلهة لا تملك الحياة، وهي ذاتها لا وجود لها لكونها إلهة العدم وعليه لا يمكنها أن تمنح الحياة أو الوجود.

الإنسان الكريم النفس لا يضحي بكرامته لقاء منال مهما كان ثميناً، والحكمة السومرية تمنع عن طلب أي شيء بالذل لأن ذلك مجلبة عار له: «ما أعطي بالذل يجلب العار»[2].

إن رضى الإله أمر يجلب للإنسان كل خير، ولكن إذا كان إلهه بالذات ساخطاً عليه فلا مجال له: «إذا كان إلهه هو الذي دمره فمن يكون مخلّصه؟»[3].

ويشرح الدكتور غوردون هذه الحكمة استناداً إلى آراء علماء السومريات فيقول: «عندما يكون الإله الشخصي للإنسان ضده فلا يجد من يكون شفيعاً له في مجمع الآلهة»[4].

الصداقة في الحياة أمر جليل، فإذا كانت الصداقة نقية من الشوائب فلا إثرة ولا أنانية، وعلى الضد إذا دخلت الأنانية فإنها تفسد الصداقة وتتلفها، تقول الحكمة السومرية بلسان رجل أناني:

---

(1) Gordon, Sumerian proverbs, p 43, No 1. 4.

(2) Gordon, Sumerian proverbs, p 44, No 1. 6.

(3) Gordon, Sumerian proverbs, p 45, No 1. 7.

(4) Gordon, Sumerian proverbs, p 45, No 1. 8.

«دع ما هو لي بدون استعمال ودعني استعمل ما هو لك؟ هل هذا إكرام الرجل لصديقه؟»[1]

وعلى هذا الأساس، إن الرجل الذي يستأثر بأمر من الأمور ينقلب ذلك الأمر ضده، فيحرمه أموراً أخرى كثيرة. تقول الحكمة بلسان الرجل نفسه: «ما هو لي جعل بقية الأشياء غريبة عني»[2]. وحينئذ لا يرى الإنسان من الحياة إلا جانبها المظلم، فتقول له الحكمة: «إنك لا تتحدث عما ربحت، بل تتحدث عما فقدت فقط»[3].

الغنى والفقر حالتان متناقضتان، ومنذ فجر التاريخ الإنساني تجد في الحياة غنياً، وتجد فقيراً، ولا تجد النظم الاجتماعية المتباينة إلى يومنا هذا تعطي الدواء الناجع لداء قاست منه الإنسانية ما قاست في جميع أجيالها المتعاقبة، ولعلها تفلح في ذلك إذا حدت من الإثرة والأنانية وحب الذات.

وكان لبلاد سومر فقراؤها الدائمون مع همومهم ومتاعبهم الدائمة، وقد أوجز ذلك إيجازاً بديعاً في مقارناته.

«خير للفقير أن يموت من أن يعيش، فإذا حصل على الخبز عدم الملح، وإذا كان لديه الملح عدم الخبز، وإذا كان لديه اللحم

---

(1) Gordon, Sumerian proverbs, p 45, No 1. 8.

(2) Gordon, Sumerian proverbs, p 46, No 1. 10.

(3) Gordon, Sumerian proverbs, p 47, No 1. 11.

فيكون قد فقد الحمل، وإذا كان عنده الحمل فيكون قد فقد اللحم»[1].

وكثيراً ما كان يلجأ الفقير إلى إنفاق ما ادّخره، أو كما عبّر عن ذلك الكاتب السومري: «يقضم الفقير فضته»[2]. وإذا ما أنفق ما ادّخره التجأ إلى الاقتراض من المرابين القساة أمثال من يعيش بيننا منهم في عصرنا الراهن، ومن هنا نشأ عندهم القول المأثور: «يقترض الفقير فتركبه الهموم»[3].

ومما لا مراء فيه أن الفقراء السومريين كانوا على العموم خانعين مستسلمين لحالهم، إذ ليس لدينا ما يدل على أن الفقراء السومريين قد حاولوا الثورة الواعية على الطبقات المثرية الحاكمة، ولكن مهما كان الحال فإن مثلهم القائل: «ليس كل عيال الفقراء قانعين مستسلمين على السواء»[4]. إذا صحت ترجمته فإنه يشير إلى قدر ما من الوعي.

وشبيه بالمثل الوارد في العهد القديم، القائل: «نوم العامل المجدّ عذب»[5] وبوجه خاص المثل التلمودي: «من أكثر في المقتنى أكثر من المشتكى» والمثل السومري: «من ملك الفضة

---

(1) محمد وحيد خياطة، فجر الحضارة في سومر، ص 78.
(2) محمد وحيد خياطة، فجر الحضارة في سومر، ص 78.
(3) وهذا يضاهي مثلنا القائل: «النقود المقترضة سرعان ما تجلب الهمّ والندم».
(4) Gordon, p. 48. No 1. 12.
(5) سفر الجامعة (5: 12).

الكثيرة فقد يكون سعيداً، ومن ملك شعيراً كثيراً فقد يكون سعيداً، ولكن من لا يملك شيئاً في وسعه أن ينام»[1].

ونجد الفقير في بعض الأحايين وقد أدرك أن إخفاقه لم يكن عن تقصير منه بل لأنه صاحب قرناء السوء: «إنني جواد أصيل، ولكنني ربطت مع البغل، وقع عليّ أن أجرّ العربة وأحمل القصب والأكداس»[2].

ويقول السومريون عن ذلك الصانع الفقير الذي لا يستطيع أن يتملك الأشياء ذاتها التي قام بصنعها: «يلبس الوصيف الملابس القذرة دوماً»[3]. والجدير بالذكر بهذه المناسبة أن السومريين كانوا يقدرون اللباس تقديراً عظيماً إذ قالوا: «كل فرد يميل إلى الشخص الذي يلبس الحلّة الفاخرة وينجذب إليه»[4].

ومهما كان الحال فتشير الدلائل إلى أن بعض الوصفاء استطاع أن ينال الثقافة أو التعلم المتعارف كما يؤخذ من قولهم المأثور: «إنه الوصيف الذي درس في واقع الحال اللغة السومرية»[5].

---

(1) Gordon, p 47. No 12.

(2) Gordon, p 48. No 13.

(3) Gordon, p 48. No 14.

(4) Gordon, p 48. No 14.

(5) الواضح أنه لم يكن جميع الكتبة القدماء حاذقين ماهرين في ضبط ما يملى عليهم، وهم في هذا الأمر لم يكونوا مختلفين أو متفوقين على نظرائهم كتاب الاختزال في الوقت الحاضر. ومن هنا منشأ المثل السومري «إن الكاتب الذي تتحرك يده وفاقاً مع الفم (أي بالسرعة للكلمات المملاة) لهو كاتب حقاً».

أما الغنى الحلال فإنه لا يأتي إلا بالجهد المتواصل، ومقاساة أتعاب فكرية وجسمية متتابعة، تقول الحكمة السومرية: «إن الغنى صعب مجيئه، وأما الفقر فهو في اليد دائماً»[1]. وإذا حزت بعض الغنى فعليك بالاحتفاظ به ولكن بدون بخل ولا تقتير، «من فاز بالغنى عليه معرفة كيفيّة الاحتفاظ به»[2] وطبقاً لرأي الحكمة إن «الغنى كالطير له أجنحة قد لا يجد أين يستقر»[3].

هذه هي الكيفية بين الغنى والفقر، إن الفقر لمصيبة المصائب في الكون «الرجل يبحث عما يجب أن يأكل»[4]، أو «يهتم الفقير فيما يجب أن يقترضه فقط»[5]. ومع ذلك يمتلئ قلبه حسداً للغني، فيتظاهر باحتقار الغنى «الفقير الوقح ينظر باحتقار إلى الغني»[6] وقد علّق الدكتور غوردون على هذه الحالة بكونها تشبه حالة الثعلب تجاه عنقود العنب حيث قال: «ما أحمضه» نقلاً عن أمثال أوسيب عن حكمة أحيقار.

الكذب والصدق أمران يحدثان في المجتمع البشري بصورة مستمرة، ولا شكّ أن المجتمع الإنساني بحاجة إلى الصدق ليؤدي رسالته الطبيعية للحياة، فإذا بدا الكذب من رجل مرة واحدة قد لا

---

(1) Gordon, p 49. No 1. 15.

(2) Gordon, p 49. No 1. 16.

(3) Gordon, p 50. No 1. 18.

(4) Gordon, p 188. No 2. 15.

(5) Gordon, p 188. No 2. 16.

(6) Gordon, p 188. No 2. 19.

يصدقه الناس حتى إذا تكلّم بالصدق، تقول الحكمة السومرية: «تكلّم بالكذب، ثم تكلّم الصدق، ولكنه سيعتبر كذباً»[1]. وتقول حكمة أخرى: «الكذاب الدائم راوية للأخبار من مسافات بعيدة»[2].

ومن الأمور المهمة عند السومري الاعتقاد بالحظ، الأمر الذي لم يزل ذا أهمية كبرى عند الرجل الشرقي. فالحظ في العالم السومري من هبات الآلهة والإنسان خاضع مرغماً للحظ الذي خصّه به إلهه الشخصي، أو أي إله آخر، من آلهة الحظوظ السعيدة أو النحسة، فمثلاً نجد فيها ذلك المشتكي الباكي الذي يعزو كل إخفاق له إلى القضاء والقدر، ويظل يشكو قائلاً «لقد ولدت في يوم نحس»[3].

ويظهر أن الإنسان غالباً لعدم قناعته بما قسّم له من (الحظ) يشعر أنه مغدور ومهضوم الحقوق في الحياة، وهذا يعود إلى حظ نحس خصّه به (الإله)[4]. ومع ذلك يشعر السومري أحياناً أنه يمكن تحقيق حظ سعيد لحياته بذكائه وجهده، فقد ورد في إحدى الحكم السومرية: «إذا قلت يا حظي فذلك لهوٌ آنٍ، وأما إذا حققت

---

(1) Gordon, p 229, No 2. 71.

(2) Gordon, p 230. No 2. 72.

(3) Gordon, p 230. No 2. 73.

(4) إلهه الشخصي، أو أي إله آخر من آلهة الحظوظ السعيدة أو النحسة، ويظهر أن الإنسان غالباً لعدم قناعته بما قسم له من الحظ، يشعر أنه مغدور ومهضوم الحقوق في الحياة، وهذا يعود إلى حظ نحس أو حظ سعيد.

حظي فعلاً فذلك مكان تتمشى فيه الأرواح»[1]. وما عدا ذلك يظهر أن السومري لم يكن راضياً بحظه، لأنه يشعر بالنحس في حياته العادية؛ تقول حكمة أخرى: «إذا ذكرت حظي لصديقي إنما أجلب العار لنفسي»[2]. ومعنى ذلك أنه يشعر بنحس حظه، وهذا النحس يشعره بالهوان إذا ذُكر لصديقه، وهكذا تتولى بقية الحكم والأمثال الخاصة بالحظ وإليك بعضها:

«إذا نظرت في الماء رأيت حظي يمشي هناك»[3]

«إني ولدت في يوم نحس»[4]

«الحظ إنما هو ثوب معلق فوق رأس الإنسان في سهل أجرد»[5]

«الحظ التعيس كلب شرير فمن يمشي وراءه؟»[6]

ثم هناك أيضاً أولئك المحبون دائماً للتأويل والشرح الذين يسوقون الحجج الواهية الظاهرية على الرغم من ظهور الدلالة الواضحة على عكس ما يقولون، فعن هؤلاء قال القدماء: «أيكون حمل بلا جماع! وهل تحدث سمنة بلا أكل»[7].

---

(1) Gordon, p 179. No 2. 2.

(2) Gordon, p 180. No 2. 3.

(3) Gordon, p 180. No 2. 4.

(4) Gordon, p 181. No 2. 5.

(5) Gordon, p 186. No 2. 12.

(6) Gordon, p 187. No 2. 14.

(7) ما يشبه المثل المعاصر «لا دخان بلا نار».

أما ماذا رأى السومريون في الأفراد الفاشلين فيبينه لنا قولهم المأثور: «لو وضعت في الماء لفسد الماء»[1]، و«لو وضعت في البستان لبدأت أثماره تفسد»[2].

وكما هو حادث في زماننا فإن الارتباك والاضطراب في الشؤون الاقتصادية يسببان القلق لكثير من الناس، عبّر القدماء عن ذلك بقولهم المأثور: «كتب علينا الموت لننفق»[3].

و«وما دمنا نعيش عمراً طويلاً فلنقتصد»[4].

وفي الفقر والغنى قيل: «الفقير الذي ليست له خبرة بزراعة الشعير كيف يأمل أن ينتج الحنطة الجيدة؟»[5]. أيضاً: «إنه لا يأخذه من الفقير»[6] إشارة إلى الذي لا يطالب الفقير بالدين[7].

وكذلك: «التحول يجلب الخير للفقير، فمن كانت له خبرة بالتجول زاد دخله اليومي وزاد عمره أعماراً»[8].

وفي طاعة الوالدين والزواج وإنجاب الأولاد قيل:

---

(1) Gordon, p 183. No 2. 7.

(2) Gordon, p 184. No 2. 8.

(3) Gordon, p 185. No 2. 9.

(4) وبطريقة أخرى يقولون: «إن الشعير المبكر (الهرفي) سيفلح، فمن أدرانا؟ وقالوا: إن الشعير المتأخر (الافلي) سيفلح، فمن أدرانا؟

(5) Gordon, p 89. No 2. 17.

(6) Gordon, p 193. No 2. 27.

(7) Gordon, p 193. No 2. 28.

(8) Gordon, p 193. No 2. 29.

«الولد العقوق ليت أمه لم تلده، وليت إلهه الشخصي لم يصوره»[1]

«الزواج بعدد من النساء من عمل الإنسان، وأما إنجاب عدد من الأولاد فمن عمل الله»[2].

ونجد «الجنس الضعيف» ممثلاً أيضاً في الأقوال المأثورة السومرية ولكن ليس دائماً لمصلحتهن. ومن أن «الباحثات عن الذهب» لم يكنّ معروفات في بلاد سومر، بيد أن السومريين كان لديهم ما يمكن تسميتهن «بالعذارى الواقعيات». فقد جاء على لسان امرأة شابة بلغت مرحلة الزواج، فلما سئمت الانتظار (انتظار الخاطب المثالي) كفّت عن التفتيش للاختيار حيث قالت: «من الثابت ومن الحُوَّل والقُلَّب الذي سأحتفظ له بحبي»[3].

أما الزواج عند السومريين فلم يكن بالعبء الخفيف. لقد عبّروا عن ذلك بوجه سالب في المثل القائل: «من لم يغلّ زوجة أو طفلاً فقد سلّم أنفه من حمل المقود»[4].

وكثيراً ما كان الزوج السومري يشعر بأنه مهمل (من عائلته) كما يؤخذ من القول السومري المأثور: «زوجتي خرجت إلى المعبد[5]،

---

(1) Gordon, p 124. No 2. 157.

(2) Gordon, p 126. No 2. 160.

(3) Gordon, p 130. No 1. 165.

(4) والإشارة هنا إلى المقود الذي يربط بأنوف الأسرى (المصدر السابق).

(5) المعبد الذي في خارج المدينة.

وذهبت أمي عند النهر[1]، وأنا هنا أموت جوعاً»[2].

وهناك الزوجة القلقة البرمة التي لم تكن تعرف ما خطبها فتلجأ إلى الطبيب حتى في تلك الأزمان القديمة، فهذا ما يمكن أن يؤخذ من المثل الآتي، إذا صحّت ترجمته: «المرأة البرمة القلقة في البيت تضيف عذاباً إلى عذاب»[3].

كما أنه لا عجب إذا ألفينا العريس والعروس يدخلان في الحياة الزوجية وهما في مزاجين يختلف أحدهما عن الآخر، كما يؤخذ من المثل القائل: «القلب الفرح: العروس، القلب المغتم العريس»[4].

أما عن الحماة (أم الزوج أو الزوجة) فيبدو أنها كانت أهون شراً من نظيرتها في العصور الحديثة، وعلى أي حال فلم تأتنا أي قصص عن (الحماة) السومرية؛ ولكن (الكنة) زوجة الابن السومرية هي التي كانت ذات شهرة لا تحسد عليها، ويبدو هذا واضحاً من المثل الذي يبين ما هو حسن وما هو رديء للرجل:

«محل التجارة في الصحراء،

هي حياة الرجل،

والنعل عين الرجل،

---

(1) ربما لتحضر أحد الطقوس الدينية أو في نزهة.

(2) Gordon, P 131. No 1. 166.

(3) Gordon, P 131. No 1. 166.

(4) Gordon, P 132. No 1. 167.

والزوجة مستقبل للرجل،

والابنة خلاص الرجل،

والابن ملجأ الرجل،

أما الكنة فشيطان الرجل»[1].

وقالوا في موضوع الحب والزواج: «من تحب فأنت تتحمل عبوديته»[2] أي يجب أن تتحمل كل ما يأتي عليك من حبيبك.

والمثل: «تزوج حسب اختيارك وأنجب أطفالاً كما يرغب به قلبك»[3].

وعن حب الأطفال قالوا: «البقرة تسير في المستنقع إلا أنها تترك العجل يسير على الأرض اليابسة»[4]. كما تُرينا مدى تفضيل البقرة عجلها على نفسها.

والمثل الآخر: «تتحدى الكلبة قائلة بفخر إذا كان لأطفالي لون ضارب إلى الصفرة أو لون داكن فأني أحب صغاري»[5]. ومعناه أن الأطفال أعزاء عند والديهم ويرونهم أجمل من الآخرين.

وفي زيادة عدد أفراد الأسرة كيما يتعاونوا على الرزق وتكثر

---

(1) Gordon, P 200. No 1. 10. كان السومريون يقدرون الصداقة تقديراً كبيراً. ولكن القرابة كانت كما هو الحال عندنا أهم منها، كما جاء في المثل السومري «تدوم الصداقة يوماً، لكن القرابة باقية إلى الأبد» والمثل الإنكليزي «الدم أكثف من الماء».

(2) Gordon, P 201. No 2. 11.

(3) Gordon, P 202. No 2. 12.

(4) Gordon, P 203. No 2. 13.

(5) Gordon, P 204. No 2. 14.

موارد العائلة، ولكنه مضر من ناحية الاستهلاك فقالوا: «عندما تضاف يد على يد، فإن الإنسان يبنى، وإذا أضيف فم على فم، فإن بيت الإنسان يحطم»[1].

وعن الزوجة المبذّرة قالوا: «الزوجة المبذّرة التي تعيش في بيت هي أسوأ من جميع الأشرار»[2].

ومثل آخر يوضح عدم الثقة بالمرأة: «عندما أناقش مصيري مع صديقتي، فإن عبارات السخرية تنهال عليّ»[3].

حكم وأمثال متفرقة

ويمكن المرور ببعض الأمثال السومرية للوقوف على مدى التفكير الإنساني في تلك العصور، نقلاً عن الدكتور غوردون أيضاً في كتابه «الأمثال السومرية» Sumerians Proverbs الذي أسعفنا بكل ما أوردنا هنا من الحكمة والمثل السومري.

ونجد أن معظم هذه الأمثال جارية إما في الحيوانات أو عن لسان حالهم، وربما تكون الحكمة السومرية أول حكمة بشرية اتخذت الحيوان عبرة للإنسان في حياته الطبيعية، وفيما يلي ذلك:

1 ـ إن سمع الثعلب كان رديئاً لذلك كان طعامه سيئاً[4]. (يضرب بمن لا يستعمل ذكاءه للخير والفائدة).

---

(1) Gordon, P 204. No 2. 14.

(2) Gordon, P 205. No 2. 15.

(3) Gordon, P 206. No 2. 16.

(4) Gordon, P 216. No 2. 61.

2 ـ الثعلب لم يستطع بناء بيته، لذلك جاء إلى بيت صاحبه غازياً[1]. (يقال لمن لا يمكنه التعويض عن حطة أصله وسوء خلقه فيندد بالآخرين).

3 ـ وطئ الثعلب ضلف الثور البري، قال ذاك، إنك لم توجعني[2]. (ويقال لمن يرى نفسه أكثر مما هو عليه).

4 ـ السرطان امتلأ بيته بالماء فانتقل إلى بيت جاره[3]. (يقال لمن ينقل مشكلاته الخاصة إلى بيوت جيرانه).

5 ـ كان بيد الثعلب عصا، فرفعها بخيلاء، وقال: من ذا أدعو للنزال»[4]. (يقال للجبان الذي يظن أنه قادر على الاعتداء على الآخرين).

6 ـ تبوّل الثعلب في البحر وقال: إن البحر كله مني»[5]. (يقال لمن يبالغ كثيراً بأهميته وهو ضئيل الهمية، تافه).

7 ـ قال الثعلب لزوجته: «تعالي نقضم مدينة ارك بأسناننا كالكراث، ولنطئن مدينة كولاب بأقدامنا كأنها حذاء. . . ولما كانا على بعد ستمائة غار (ربما ذراع) عن المدينة، شرعت الكلاب تنبح، والجواري تشاركها الصياح قائلات: إياكما

---

(1) Gordon, P 218. No 2. 63.

(2) Gordon, P 221. No 2. 65.

(3) Gordon, P 219. No 2. 66.

(4) Gordon, P 222. No 2. 66.

(5) Gordon, P 222. No 2. 67.

والمدينة وإلا تهلكان»[1]. (ويقال فيمن يتخيل القوة في ضعفه)[2].

8 ـ ما أذكى الثعلب ولكن خدعه العصفور»[3]. (يقال في الذي يخدع أحياناً في صغائر الأمور دون تفكير).

9 ـ «الحمير تقاد»[4]. (يقال في من لا يمكنه قيادة نفسه، وتدبير أموره بذاته، وهو بحاجة إلى غيره).

10 ـ «الثور إذا طالت حياته يقضي وقته كله نائماً»[5]. (يقال في الرجل الكسول الذي ينام عن طلب رزقه فيعيش طويلاً).

11 ـ «الثور الذي أفلت من دراسة البيدر إنما دأبه التمرد»[6] (يقال في الهاربين من الواجب).

12 ـ «إذا كان الثور ملتصقاً بالبيدر بالأحسن ألا يبذر البذار»[7]. (يقال في الأكول الشره الذي لا يبقي شيئاً للآخرين).

---

(1) Gordon, P 224. No 2. 69.

(2) وهو يتفق مع المثل السومري الآخر: «إنه لم يصد الثعلب بعد ولكنه أعدّ طوقاً لخنقه» (أنظر Gordon, P 223. No 2. 68.) ويقال فيمن يتخيل عظمة الغنيمة وهو لم يحزها بعد. وهو يتفق مع المثلين القائلين: «لا تحص صيصانك قبل أن تفقس» و«صدّ الدب قبل أن تبيع جلده» ويقال فيمن يتخيل القوة في ضعفه.

(3) Gordon, P. 226 No 2. 70.

(4) Gordon, P. 230. No 2. 73.

(5) Gordon, P. 237. No 2. 87.

(6) Gordon, P. 237.No 2. 87.

(7) Gordon, P. 238. No 2.87.

13 ـ «الثور الذي يثير الغبار، لا يضر إلا بعينيه»[1]. (يقال في من يضر نفسه أكثر من إضراره بالآخرين).

14 ـ «الثور يحرث والكلب يتلف الأثلام»[2]. (يضرب مثلاً للعمارة والتخريب).

15 ـ «إذا كان الثور مصاباً بالإسهال، فإن روثه يشكّل خطاً طويلاً»[3] (يقال في الرجل اللئيم الذي لا يصدر عنه إلا الشر والسوء).

16 ـ «الثور الغريب يأكل عشبي، وثوري رابض في المرج»[4]. (يقال في تفضيل الغريب على ابن البيت).

17 ـ «عندما نجوت من الثور الوحشي، هاجمتني البقرة الوحشية»[5]. (يقال في من ينجو من مصيبة فتداهمه أخرى أشدّ وأدهى).

18 ـ «قالوا إن ثورنا مطرود، أما ثور الغريب فقد صار لحراثتنا»[6] (يقال في طرد أبناء البيت لإيواء الغرباء).

---

(1) Gordon, P. 241. No 2. 90.

(2) Gordon, P. 241. No 2. 91.

(3) Gordon, P. 242 No 2. 91.

(4) Gordon, P. 242 No 2, 92.

(5) Gordon, P. 244. No 2. 94.

(6) Gordon, P. 244. No 2. 95.

19 ـ «إني وجدته ففرحت، ثم فقدته فلم أحزن»[1]. (يقال فيمن لا أهمية له بعد اختباره)[2].

20 ـ «أفراح قوم أتراح غيرهم، وأتراح قوم أفراح غيرهم»[3].

ويمكن المرور ببقية الأمثال المختارة بدون تعليق فإنها واضحة، وإليك ذلك أيها القارئ العزيز:

1 ـ الأموال كالعصافير تطير إذا لم تجد لها حيث تجثم.

2 ـ لا تستأصله الآن، إنه سيثمر بعد حين.

3 ـ الذي يأكل كثيراً لا يستطيع النوم.

4 ـ القلب لا يؤدي إلى العداوة، إنما اللسان يؤدي إلى العداوة.

5 ـ الذباب تدخل الفم المفتوح.

6 ـ ابنِ كالسيد، وعش كالعبد، وابنِ كالعبد وعش كالسيد.

7 ـ بإضافة يد على يد يبنى البيت، وبإضافة معدة إلى معدة يهدم.

8 ـ العيش بالقناعة يجعل الحياة أفضل.

9 ـ تأنّ عندما تمشي، ووطّد قدميك على الأرض.

---

(1) Gordon, P. 264. No 2. 122.

(2) ويتفق مع المثلين الإنكليزيين: «easy came easy go» والثاني: «small gain small loss».

(3) Gordon, P. 265. No 2. 125.
ويتفق مع المثل القائل «مصائب قوم عند قوم فوائد» ومع المثل الإنكليزي القائل: One man's meat is another's poison.

10 ـ إذا دامت الصداقة يوماً واحداً، فالقرابة تدوم إلى الأبد.

11 ـ من يملك فضة كثيرة يكون سعيداً، ومن يملك قمحاً كثيراً يكون مسروراً، ومن لا يملك شيئاً يمكنه أن ينام.

12 ـ الكلمة العذبة تكثر الأصدقاء.

13 ـ القلب المحب يبني البيت، والقلب المبغض يهدمه.

14 ـ الحانوت المتنقل في البرية هو حياة الإنسان، والحذاء عين الرجل، والمرأة مستقبله، والابن ملجؤه، والبنت خلاصة، والكنّة إبليسه.

15 ـ تزوج امرأة طبقاً لرغبتك، وانجب ولداً بحسب مشتهى قلبك.

16 ـ المجرم ليت أمه لم تلده، وليت إلهه لم يصوره.

17 ـ المدينة التي ليس لها كلاب تحرسها، يكون الثعلب واليها.

18 ـ الثعلب وطئ ضلف الثور الوحشي، وقال: أرجو ألاّ أكون قد أوجعتك[1].

19 ـ الزوجة المبذّرة التي تعيش في بيت هي أسوأ من جميع الأشرار.

20 ـ عندما تهان دع صديقك يعمل.

21 ـ إذا كنت قد فعلت شراً بصديقك، فما عساك أن تفعل بعدوك؟!

---

(1) Kramer, The Sumerians, P 225.

22 ـ الفقير ليست له قوة.

23 ـ الفقير قلق دائماً على ما سيأكل.

24 ـ الفقير قلق على ما قد استدان.

25 ـ الجائع يقتحم البناية (حتى ولو كانت مبنية) من الطابوق المفخور.

26 ـ الغبار الذي أثاره الثور ظنه طحيناً بالنسبة لعينيه.

27 ـ أنت كالكلب ليس لك مكان تنام فيه.

28 ـ سندك هو ليست ثروتك إنما إلهك.

29 ـ من لا يفكر باستمرار الأموال هو حقاً حكيم.

30 ـ اللحم لحم، الدم دم، الغريب غريب، الأجنبي حقاً أجنبي.

31 ـ شعب بلا ملك، ماشية بلا راعٍ.

32 ـ أنت لا ترجع ما كنت قد أخذت.

33 ـ دع ما هو لي يبقَ كما هو، ودعني آكل ما هو لك. فهل إن هذا يعزز المرء في مجتمع أصدقائه؟!

34 ـ من يأكل كثيراً جداً فلا (يتمكن من أن) ينام.

35 ـ عندما أدخل مدينة هادئة فإن (تلك) المدينة أجدها قد امتلأت بالدم، وعندما استقل سفينة في تيار هوائي عميق، فإن (تلك السفينة) تتعرض إلى مصيبة.

36 ـ حفر بئراً في مكان لم يكن فيه ماء، ودبغ جلداً بدون. .

37 ـ إذا كان هناك أي طعام بقي لي، فإن ابن عرس يأتي فيأكله، وحتى لو أبقى لي على أي طعام فإن شخصاً غريباً يأتي ويأكله.

38 ـ أنا أسكن في بيت مبني من القار والطابوق (مع ذلك) فإن كتلة من الطين سقطت فوق رأسي.

39 ـ أنت كالثور لا تعرف كيف تدير رأسك.

40 ـ السماوات محملة فوقه، الأرض معلقة من بين يديه.

41 ـ قل الكذب (ثم بعد ذلك) قل الصدق فسوف يعتبر كذباً.

42 ـ في الداخل هو سعيد، في الخارج هو مسرور، معيشته ميسورة وهو محترم.

43 ـ إن تصرفاتك صبيانية، ليست فيها رجولة أبداً.

44 ـ من يصاحب الشخص البارز، يعرف كشخص بارز، ومن يصاحب الشخص الذكي، يعرف كشخص ذكي.

45 ـ العام الماضي أكلت ثوماً، هذا العام بطني يحترق.

46 ـ لا تعمل الشر، وعندئذ لن تقاسي ألماً دائماً.

47 ـ عندما كان الحمار يسبح في النهر، صعد الكلب على ظهره وتمسك به بقوة (قائلاً مع نفسه) متى يخرج حتى يؤكل؟

48 ـ سرورهم، انزعاجهم؛ انزعاجهم، سرورهم.

49 ـ بعد أن يكون قد أكمل الخبز، عند ذاك (فقط) دعه يصدر حكمه (عليه).

50 ـ حزّم عليك، إلهك هو مساعدك.

51 ـ عندما تعمل بجد، فإن إلهك لك؛ وعندما لا تعمل بجدّ فإلهك ليس لك.

52 ـ الجندي يجب ألاّ (يحاول أن) يكون ضابطاً (قائداً)؛ الراعي يجب ألاّ (يحاول) أن يكون مزارعاً.

53 ـ أنا حمار للركوب (ومع ذلك ف) إنني مربوط إلى جحش، إنني أجرّ عربة وأعاني من عصا (للضرب).

54 ـ لقد ذهب يصطاد طيراً بدون مصيدة فلم يصطد شيئاً.

55 ـ ذهبت ونهبت مقاطعة عدوك، العدو جاء ونهب عدوك.

56 ـ هو لا يجيب الشتائم بالشتائم، ففي إجابته بشتيمة (ثانية)، فإنه سوف يجاب بشتائم (أخرى).

57 ـ غير المثقف عربة، والجاهل طريقها.

58 ـ الأصل، الأصل.

59 ـ عندما أناقش (الأمور التي تتعلق ب) مصيري مع صديقتي، فإن عبارات السخرية تنهال عليّ[1].

60 ـ كتب علينا الموت فلنصرف، وسنعيش طويلاً فلنوفر.

---

(1) الأمثال المرقمة من 19 إلى 59 اقتبسناها عن مجلة «سومر» مقالة الدكتور عبد الهادي الفؤادي تحت عنوان «بحث في الأمثال العراقية»، القسم الأول والثاني، المجلد 29، ص 83 ـ 106، والمجلد 30، ص 27 ـ 46.

61 ـ خير للفقير أن يموت، فإذا كان لديه خبز فلا يملك له ملحاً، وإذا امتلك الملح لا يجد عنده خبزاً.

62 ـ الذي يملك مالاً كثيراً ربما يكون سعيداً، ومن يملك شعيراً كثيراً ربما يكون سعيداً، ولكن من لا يملك شيئاً يمكنه النوم.

63 ـ الناسخ الحقيقي الذي يحرك يده حسب مشيئة مخه.

64 ـ المرأة غير القنوعة وجع الرأس.

65 ـ هربت من الجاموسة الوحشية، لقيت البقرة الوحشية[1].

66 ـ لا تسئ إلى أحد، عندئذ لن يدخل قلبك الأسى.

67 ـ لا تفعل شراً، فلن يتملكك عندئذ حزن وألم.

68 ـ من تحبل دون نكاح؟ بل من تسمن دون أكل؟ 69 ـ النكاح يسهل رضاع الثدي.

70 ـ حينما أعمل يسلبونني أجرتي، وحينما أضاعف جهودي ما يمنحني أحد شيئاً.

71 ـ الرجل القوي يأكل أجرته، والرجل الضعيف بأجرة طفله.

72 ـ إنه محظوظ في كل شيء، طالما يلبس حلّة جميلة.

73 ـ هل نضرب وجه الثور الذي يمشي بالسوط؟ 74 ـ ركبتاي تسيران بي، قدماي قويتان، ومع ذلك يتعقبني بالعذاب رجل عديم الإدراك.

---

(1) الدكتور سامي سعيد الأحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، ص 151 ـ 153.

75 ـ ألست حصاناً أصيلاً؟

76 ـ مع ذلك أنا مسرّح مع بغل، وعليّ أن أجرّ عربة محملة بالقصب.

77 ـ إن الطين ينصبّ عليّ، مع أني أسكن بيتاً مبنياً بالطابوق والقار.

78 ـ إن حياة نهار قبل البارحة مثل كل يوم.

79 ـ لو وضعت في النهر، لأنتنت مياهه ولو وضعت في البستان فسد ثمره.

80 ـ إذا كانت الساق عوجاء، فلن تعطي برعماً ولا بذرة.

81 ـ سيموت حالاً، هكذا يقول: دعني أنفق كل ما أملك، ستصبح صحته جيدة حالاً، هكذا يقول: دعني اقتصد.

82 ـ هل تنبت الحنطة الناضجة؟ كيف ندري؟ هل تنبت الحنطة العجفاء؟ كيف ندري؟

83 ـ لن يصد العدو أمام باب المدينة التي عدة حربها ضعيفة.

84 ـ مع الثعلب عصا. فمن سأضرب؟ وهو يحمل وثيقة قانونية، فماذا أتحدى؟

85 ـ هو صديقه ما دام على قيد الحياة، وغريمه الأكبر يوم مماته.

86 ـ لن يصل إلى نتيجة، ما دامت النسوة يتكلمن مع بعضهن.

87 ـ تدخل الذبابة في الفم المفتوح.

88 ـ أنت كالبقرة العقيم، تبحث عن عجلها الذي لم يولد.

89 ـ قال الحصان بعد أن ألقى فارسه: سأصاب بالهزال إن ظل هذا حملي.

90 ـ الكلب يفهم، خذها، ولا يفهم، دعها[1].

91 ـ الموت أفضل للفقير من الحياة.

92 ـ من تجد عنده خبزاً لا تجد ملحاً، ومن تجد عنده ملحاً لا تجد خبزاً.

93 ـ المرأة الدائمة الحركة في البيت تزيد الألم ألماً.

94 ـ من تجد عنده لحماً لا تجد عنده خروفاً، ومن تجد عنده خروفاً لا تجد عنده لحماً.

95 ـ من لا يعيل امرأة وطفلاً لا يمكن أن يكون عبداً.

96 ـ زوجتي في المعبد وأمي عند النهر (للصلاة أو الغسيل)، وأنا أموت جوعاً هنا.

97 ـ عندما يفكر المرء بالمتعة يتزوج وعندما يعود إلى عقله يطلّق[2].

98 ـ اعبد الرب إلهك،

---

(1) الأمثال المرقمة من 66 إلى 90، اقتبسناها عن كتاب «الأساطير السومرية» للدكتور عيسى سلمان التكريتي، وقد ترجمها عن الإنكليزية ص 130 ـ 132.

(2) الأرقام من 91 ـ 97، عن محمد وحيد خياطة، فجر الحضارة في سومر، ص 76 ـ 77.

كن رحيماً مع الضعفاء،

ولا تهن منكسري القلوب،

ليكن رائدك الخير والخدمة كل أيامك،

لا تتلفظ بذم،

بل قل ما هو حسن،

وامتدح الناس ولا تذكرهم بسوء. .[1]،

99 ـ لا تسئ إلى خصمك،

أحسن إلى من يسيء إليك،

عامل عدوّك بالعدل،

التقوى تولد السعادة،

وتقديم القرابين يطيل الحياة،

والصلاة تكفّر عن الذنوب. . .[2].

100 ـ أنصت يا صديقي وافهم أفكاري،

انتبه إلى تعابير كلماتي المختارة،

إن الناس يمجدون كلام القوي الذي نشأ على القتل والإجرام،

---

(1) د. وديع بشور، الميثولوجيا السورية، ط2، ص 49.

(2) المرجع السابق، ط2، ص 49 ـ 50

لكنهم يحتقرون كلام الضعيف الذي لم يقترف إثماً،
هم يؤيدون الشرير وجريمته ظاهرة،
ويعرضون عن كلام الأمين المتقي إلهه،
هم يملأون خزائن الظالم بالذهب،
ويبتزون كيس البائس بما فيها من الفتات،
يعضدون القوي وجريمته معروفة،
ويهلكون الضعيف ويطردون البائس. . .[1]

إن هذه الأمثال لحكم بالغة، وفلسفة الحياة الواقعية، فالسومري، والحالة هذه، خبير بالحياة وأمورها، وهذه الخبرة الطويلة هي التي أنتجت هذا التفكير الواقعي السليم، ولا شك أن معظم هذه الحكم لم تزل حية في صلب الحياة اليومية في عصرنا هذا، ولم يزل كثير من هذه الأمثال سائراً على ألسنة الناس، إما بشكله الموروث عن تلك العصور، وأما بطريقة جديدة بتأثير تعاقب الأجيال الإنسانية، وعلى هذا الأساس تكون الحكمة البشرية جدولاً ينبوعه الماضي السحيق في القدم ولم يزل حياً وآخذاً مجراه الطبيعي في تعاقب الحياة البشرية جيلاً بعد جيل.

الفردوس السومري

إن الحكمة العميقة التي أنتجتها العقلية السومرية القديمة،

---

(1) Babylonian wisdom, p. 87.

أكسبت الإنسان آمالاً باسمة في الحياة، فالسومري المتشبع بفكرة الحكمة الإنسانية المثلى، طمح في الوصول إلى حياة جديدة، وعالم جديد، متحرر من الألم والمرض والموت، يسوده الإخاء الإنساني العام، لا محل فيه للاعتداء أو الحرب، وهذا ما سماه علماء السومريات بـ«الفردوس السومري» المفقود. وقد ورد وصف هذا الفردوس في قصيدة طويلة وجدت مكتوبة بالسومرية على لوحة تحوي ستة أعمدة، اكتشفت بين أنقاض مدينة نيبور، تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد[1].

وهذه القصيدة وإن كانت مليئة بالأفكار الأسطورية الغزيرة، إلا أنها تعلن فكرة الإنسان في تلك العصور وآماله في وجود عالم جديد، متحرر من الألم والخوف وحتى الموت، وبقية المحن التي تصيب الإنسان نتيجة للوجود البشري في هذه الحياة.

ونحن لا يهمنا من القصيدة الأسطورية غير هذه الأبيات القليلة حيث ورد فيها:

في غابر الزمان،

لم يكن حية ولا عقرب،

لم يكن ضبع ولا أسد،

---

(1) وهي الآن موجودة في متحف جامعة فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا الأمريكية نقلها ونشرها لأول مرة الأستاذ ستيفان لنغدون تحت عنوان «قصة الفردوس السومري الشعرية» Sumerian epic of paradise وترجمت عدة مرات ونشرت منها: Henri de Genuill ac TRS Edward Chiera cef Jaos, L. IV. 417.

لم يكن كلب متوحش ولا كان ذئب
لم يكن للإنسان خوف ولا إرهاب
ولم يكن للإنسان منافس...

في غابر الزمان،
كانت بلاد «شوبور» و« همازي»
وبلاد سومر المتعددة الألسن
البلاد العظيمة ذات النواميس الإلهية الخاصة بالإمارة
وبلاد «أوري»[1] التي حوت كل ما هو لائق
وبلاد «مارتو»[2] كانت آمنة مطمئنة
وجميع الكون والبشر في وحدة وألفة
يمجدون الإله «إنليل» بلسان واحد...

ولما تشكلت البلدان لم يقم حرب ولا تناحر بلا سلام وألفة، وكان الإنسان يسكن في جنة أرضية اسمها «دلمون»[3] بلد طاهر ومشع، إنه «أرض الأحياء» الخالدين، حيث لا مرض ولا موت، لا ألم ولا شيخوخة:

تلك الربوع نقية،

---

(1) هي بلاد أكد أو أكاد.
(2) هي بلاد سوريا.
(3) يعتقد أنها جزيرة البحرين.

تلك الربوع ساطعة،

في دلمون لا ينعق الغراب الأسود،

وطير الاتيدو لا يصيح ولا يصرخ،

لا ينقل أخبار الموت،

الأسد لا يفترس،

والذئب لا يخطف الحمل،

لم يعرف الكلب الوحشي الذي يبتلع الجداء هناك

ولم يعرفوا الكوارث التي تدمّر الغلّة...

لا توجد أرملة هناك،

والطير في الأعالي لا يسقط،

والحمامة لا تحني رأسها،

ما من أرمد يقول عيني مريضة،

ولا مصدوع يقول في رأسي صداع،

عجوز دلمون لا تقول أنا عجوز،

وشيخها لا يقول أنا مطعون في السّن..

العذراء لا تستحم،

ولا يهدر الماء الرائق في المدينة،

من يعبر نهر الموت لا يتفوه بالموت،

والكهنة النائحون لا يدورون حوله،

لا يسير الكاهن الناعي في تلك الربوع،

المنشد لا يعول بالرثاء،

والمغني لا يرفع الأغاني المولولة،

وفي طرف المدينة لا ينوح ويندب،

وفي جنبات تلك الربوع لن يكون بكاء ولا نواح...[1]

إن هذه الأبيات إلى ما فيها من جمال التصور، تدل دلالة واضحة على كون الإنسان منذ تلك العصور السحيقة في القدم كان يطمح إلى حياة إنسانية سامية لا ألم فيها ولا خوف ولا مرض ولا شيخوخة، حتى ولا موت، وكأني بكاتبها قد تصور «الأرض الجديدة» الوارد وصفها في سفر أشعيا النبي من التوراة «العهد القديم» حيث يقول:

فيسكن الذئب مع الخروف،

ويربض النمر مع الجدي،

والعجل والشبل والمسمّن معاً،

وصبي صغير يسوقها، والبقرة والدبّة ترعيان،

---

(1) James B. Brichard; Ancient near east texts, prinston university press, New - Jersey, 1950 pp. 38 - 41.

تربض أولادهما معاً،

والأسد كالبقر يأكل تبناً،

ويلعب الرضيع على سرب الصل،

ويمد العظيم يده على جحر الأفعوان،

لا يسؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي،

لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب، كما تغطي المياه البحر. (أشعيا 11: 6 ـ 9). وقد اعتقد السومري أن عالمه سبقه أجيال كان الإنسان فيها متحرراً من الأذى والخوف والمنافسة. ففي البدء كان العصر الذهبي، عصر السعادة الكاملة، يوم كان البشر يعيشون بلا كدّ ولا كفاح، وقبل «سقوط الإنسان»، وقد قال أحد شعرائهم في وصف تلك الفترة من الرخاء والسعادة في واحد وعشرين سطراً:

«في وقت مضى

لم يكن هناك حية،

ولم يكن هناك عقرب،

لم يكن هناك سبع،

ولم يكن هناك كلب وحشي،

ولا ذئب. . .

لم يكن هناك خوف، ولا رعب. . .

ولم يكن للإنسان منافس.

البلاد آمنة مطمئنة وجميع الكون والبشر في محبة

يعبدون الإله إنليل يمجدونه بلسان واحد [١].

تعاليم شوروباك

وفي تراث الحكمة السومري (مشورات) بالغة الأهمية جداً، تفوق كل ما ورد في نصوص الحكمة العامة في الأجيال السومرية تعرف بـ«تعاليم شوروباك» Surrupak لإبنه زيوزودرا Ziuzudra. وطوراً بـ «مشورات الحكمة» Counsels of wisdom وقد يفصل العلماء بينهما وكل منهما كحكمة قائمة بذاتها، إلا أن جلّهم متفقون على كونها حكمة واحدة[2].

ونحن لا يهمنا هنا إلا كونها أدباً حكمياً ذا منزلة عظيمة جداً.

إن هذه الحكمة السومرية اكتشفت مؤخراً في عمليات التنقيب التي قام بها علماء الآثار، فتمّ اكتشاف نصين لها أحدهما أشوري ويحوي الترجمة البابلية للنص السومري الأصلي، والثاني هو النص السومري بالذات، ويعود تاريخه إلى الألف الثاني قبل الميلاد[3]، وقد وجدت منها ثلاث نسخ بين رقم خزانة أشور بانيبال، ونسخة واحدة في أنقاض مدينة آشور[4] (شرقاط).

---

(1) Kramer, The Sumerians, p. 262.

(2) Babylonian wisdom literature, p. 94.

(3) Babylonian wisdom literature, p. 96.

(4) Babylonian wisdom literature, p. 96.

يمكن تقسيم هذه الحكمة إلى عشرة أقسام طبقاً لبنودها وهي:

1 ـ تجنب رفاق السوء.

2 ـ حفظ اللسان وكتمان السر.

3 ـ عدم مقابلة الشر بالشر ومحاولة إصلاح الأعداء.

4 ـ العطف على الذين هم بحاجة إليه.

5 ـ عدم الزواج من عبدة.

6 ـ عدم الزواج من ساقطة.

7 ـ كيفية التصرف في خدمة الملك وعند صدور أوامره.

8 ـ كيفية توقيع الكلام.

9 ـ واجبات الدين وفوائده.

10 ـ كيفية النظر إلى الأصدقاء.

بين يدينا نقلان اثنان لهذه الحكمة ورد أحدهما في كتاب «نصوص من الشرق الأدنى القديمة ذات العلاقة بالعهد القديم»[1]، والثاني «آداب الحكمة البابلية»[2]، وقد أشبعهما العلماء دراسة وتحقيقاً وتعليقاً، الأمر الذي يكفينا، مؤونة البحث، ونظراً لما نحتاجه في بحثنا هذا نختار النص الوارد في «آداب الحكمة البابلية» وفي مقدمته سبع فقرات وردت فيما نسب إلى «شوروباك» في

---

(1) Ancient near east texts relating to the old testament. pp.425 - 430.

(2) Babylonian wisdom literature pp. 96 - 107.

المصدر نفسه، مع مراعاة ما وضعه مؤلف الكتاب كمقدمة لـ«مشورات الحكمة» في نهاية النقل العام لبنودها.

وإننا ننقل بنود هذه الحكمة طبقاً للأرقام التي اعتمدها المصدر في كتاب «آداب الحكمة البابلية» وإليك ذلك عزيزي القارئ الكريم:

1 ـ إن شوروباك قدّم تعاليم لابنه،

2 ـ شوروباك ابن يوبار توتو،

3 ـ قدم تعاليم لابنه زيوزودرا،

4 ـ يا بني . . إني أقدم لك هذا التعليم فتقبل تعليمي

5 ـ يا زيوزودرا أعر أذناً صاغية للكلام الذي أرغب إعطاءك إياه.

6 ـ لا تهمل تعليمي،

7 ـ لا تخالف الكلام الذي أقدمه لك.[1]

وفي نهاية النقل العام لبنود هذه الحكمة ورد مطلعها على الشكل التالي:

1 ـ الرجل العالم . . . .

2 ـ في الحكمة. . . . .

3 ـ تعال يا بني. . . . .

---

(1) Kramer, The Sumerians, p. 224.

4 ـ إلى تعاليمي . . . . .

5 ـ تمسك بنصائحي .

6 ـ . . . .

7 ـ تمسك بالحق بكلتي يديك . . . . . .

ثم تتابع مشورات الحكمة على النحو التالي :

8 ـ ربما ينقلون عنك أخباراً طيبة .

(الأرقام من 9 ـ 19 مخرومة جملها ولم يبق منها غير كلمات لا فائدة لها) .

20 ـ الذي لا سمعة سيئة بين بني قومه ،

21 ـ لا تتحدث إلى النمام ،

22 ـ لا تشاور (ربما البطّال) لأنه كسول ،

23 ـ بقوة النعمة التي فيك ستصبح لهم عقلاً .

24 ـ حينئذ ستفتح الطريق لأجل مستقبلك .

25 ـ وستعتبر عقلك الحكيم الرزين متمرداً ،

26 ـ ليكن فمك مراقباً ولسانك مقيداً (متحفظاً) .

27 ـ لتكن شفتاك ثمينتين كغنى الإنسان .

28 ـ ليكن التجديف والسفاهة مكروهتين لديك .

29 ـ لا تنطق بفحش الكلام ولا تتحدث بالكذب .

30 ـ النمّام ملعون.

31 ـ لا تتردد إلى دار الحكمة.

32 ـ لا تقف حيث توجد المشاجرة،

33 ـ لأنهم سيتخذونك راوية للمشاجرة،

34 ـ وسيقدمونك شاهداً،

35 ـ وسيقدمونك إلى المحكمة حيث لا مصلحة لك فيها.

36 ـ إذا صادفتك مشاجرة فاسرع وامضِ في طريقك ولا تعرها انتباهاً،

37 ـ وإذا كانت المشاجرة تخصك فاسرع بإطفاء الشرارة.

38 ـ المتشاجرون هوّة سحيقة.

39 ـ السور المنيع يرهب الأعداء.

40 ـ إنهم يتذكرون ما ينسى الإنسان فيقدمون الشكوى.

41 ـ لا تجاز الشر لمن يخاصمك.

42 ـ قابل بالعطف من يبادرك بالشر.

43 ـ تمسك بالعدالة تجاه عدوّك.

44 ـ ابتسم بوجه خصمك.

45 ـ إذا جاع الذي يرغب لك الشر فأطعمه.

46 ـ لا تحصر عقلك في الشر

47 ـ . . . . إنه مقبول لدى الآلهة (ربما: الخير مقبول)

(الأرقام 48 ـ 55 مخرومة لم يبق منها غير كلمات)

56 ـ الضعيف أظهر له الضعف.

57 ـ لا تحتقر من هو أدنى منك رتبة.

58 ـ لا تزدر غيرك باستبداد.

59 ـ بهذا يكون إله الإنسان ساحقاً.

60 ـ ليس سراً لشماش من يقابله الشر.

61 ـ أعطِ خبزاً للأكل والخمر للشرب.

62 ـ من سألك فأعطه، وأدّ الاحترام والتقدير.

63 ـ في ذلك يفرح إله الإنسان.

64 ـ إنها لمسرّة عظمى لدى شماش من يقابله بالصلاح.

65 ـ اعمل أعمال الرحمة واستمر بالخدمة كل أيامك.

66 ـ لا تدخل إلى بيتك فتاة عبدة،

67 ـ إنها لن تصون سريرك كزوجة.

68 ـ . . . الفتيات العبدات لا يدعنك تعرف نفسك

69 ـ إذا صعدت الفتاة العبدة إلى (سريرك) فلن تدعك تنام

70 ـ دع أن يعلن عنك هذا بين بني قومك

71 ـ البيت الذي تسوده فتاة عبدة فإنه تشينه

72 ـ لا تتزوج من مستهترة فإن أزواجها كثر.

73 ـ ولا من (عاهرة) الهيكل فإنها مكرسة للآلهة

74 ـ ولا من الساقطة فإن خطّابها كثيرون

75 ـ إنها لن تسندك عند مصيبتك

76 ـ عندما تجبر على القتال ستهزأ منك

77 ـ لا تنتظر منها لا احتراماً ولا طاعة

78 ـ حتى إذا احترمت بيتك فألقِ بها إلى الخارج

79 ـ إنها توزع اهتمامها إلى كل جهة

80 ـ إنها متقلبة تخرب البيت الذي تدخله ومن يرافقها لا يمكنه الحفاظ عليها

81 ـ يا بني امتثل أمر الملك إذا صدر

82 ـ إذا أسندت إليك حراسة ختمه

83 ـ افتح خزانة بيته وأدخلها

84 ـ لأن غيرك لا يمكنه ان يقوم بذلك

85 ـ فالثروة التي تجدها لا حدّ لها

86 ـ ولكن لا تشته شيئاً منذ لك

87 ـ لا تحصر تفكيرك بالخداع

88 ـ لأن الأمر سيتضح بعد ذلك

89 ـ وسيعرف خداعك بعد حين

90 ـ سيسمع الملك

91 ـ ومحياه الباسم. . . (ربما سيتجهم)

92 ـ عندئذ سيكال لك الصاع صاعين

(93 و94 العبارتان مخرومتان)

والأعداد من 95 إلى 126 غير موجودة)

127 ـ لا تتفوه بالقذف والتشهير، تكلم بطيب الأحدوثة

128 ـ لا تتفوه بالشر، تكلم بالخير في الناس

129 ـ الذي يتفوه بالقذف والشر

130 ـ سيكذبه الناس وينقلون ماءه، أمام شماش

131 ـ تجنب الكلام الباكل واحفظ شفتيك

132 ـ لا تنطق بقسم مغلظة عندما تكون وحدتك

133 ـ لأنك كل ما تتكلم في تلك اللحظة سيتبعك فيما بعد

134 ـ اجتهد أن تلجم لسانك

135 ـ قدّم العبادة كل يوم لإلهك

136 ـ فالذبيحة والبركة هما المرافقتان الوحيدتان للبخور

137 ـ سلّم إرادتك الكاملة بيد إلهك

138 ـ لأن ذلك هو العمل الصالح الوحيد الذي ترضى به الآلهة

139 ـ الصلاة والتضرع والتهجد

140 ـ قدّم له (للإله) كل يوم وستنل ثوابك

141 ـ عندئذ ستكون لك شركة كاملة مع إلهك

142 ـ تأمل اللوح (ربما لوح الشريعة) لتزداد حكمة.

143 ـ الخشوع ينتج الثواب

144 ـ قدّم الذبيحة حياتك كلها

145 ـ والصلاة تكفّر عن الخطايا

146 ـ إن الذي يتقي الآلهة تصان كرامته

147 ـ الذي يتقي «أنوناكي»[1] تطول أيام حياته.

148 ـ مع الصديق والخدين لا تتكلم (ربما بالغش)

149 ـ لا تنطق بالنفاق، بل تفوه بما هو لائق

150 ـ إذا وعدت أوفي

(الأرقام 151 ـ 158 مخرومة لا فائدة منها)

159 ـ تأمل اللوح (ربما لوح الشريعة) لتزداد حكمة.

فلسفة السومريين

الحكمة السومرية، والحالة هذه، حكمة عملية صرف، تصلح لتكوين مجتمع هادئ رزين، يدين بالإنسانية السامية،

---

(1) الأنوناكي تعني مجموعة الآلهة.

تسوده المثل العليا، وتسيّره، وهو بحق مثال حيّ للمجتمع الإنساني الراقي.

ولو استعرضنا جميع الأمثال السومرية التي مررنا بها، لاستطعنا الوقوف على نمط الحياة الكاملة التي عاشها الإنسان في تلك العصور، ونحن لو فكرنا بالسبب الأساسي الذي من أجله أعطى الله الحكمة للإنسان لوجدنا أنه فقط ليعيش كإنسان حقيقي كامل، وإنما الفلاسفة والحكماء وجدوا في العالم نوراً وهداية له في دياجير حياته، فيكون الفيلسوف السومري، والحالة هذه، قد أدى رسالته وقام بواجبه الحقيقي تجاه أجياله المتعاقبة، قبل ظهور أي فيلسوف في العالم.

علمنا أن الحكمة السومرية ـ على الرغم من قدمها ـ استطاعت الوصول إلى أعلى ذروة من التفكير الناضج الصحيح، ولا بدع إذا سميناها (فلسفة وادي الرافدين) أو «فلسفة السومريين» والفلسفة الحقة لا تعنى إلا بالحق، والحق في الفلسفة السومرية هو واقع الحياة بالذات كما علمنا سابقاً «من سار مع الحق ربح الحياة» ومن ينبوع الحق تصدر سائر الفضائل الإنسانية الكبرى، كالأمانة، والصدق، والعمل الصالح، وسائر أعمال الرحمة.

والأمانة في الفلسفة السومرية عنوان العمران والبناء: «البيت يبنى بيد رجل أمين، ويهدم بيد رجل خائن».

ولو مررت ـ عزيزي القارئ ـ بدقة على الأمثال السومرية الواردة في بحثنا هذا، لوجدت أن الفلسفة السومرية حرية بأن تكون

أساساً للحياة المثلى الراقية، والفلسفة الحقة، ليست إلا الأساس الراسخ للحياة الصحيحة.

على أن ابلغ ما ورد في هذه الفلسفة، هو تصور حياة جديدة للإنسان، متحررة من الألم والخوف وحتى الموت، الأمر الذي لم تفكر فيه الفلسفة العالمية بهذه الطريقة السامية، لا في تلك العصور ولا بعدها.

وإذا استعرضنا أفكار فلاسفة اليونان في «جمهورية أفلاطون» مثلاً، لوجدنا أن الفيلسوف اليوناني يفكر في حياة مادية صرف، لا تمت بصلة إلى الروحانية التي يجد فيها الإنسان سعادته الكبرى، والتي تقرّبه من الله تعالى، فالفيلسوف السومري والحالة هذه، يفوق جميع الفلاسفة سمواً وإشراقاً لأنه يأمل للإنسانية حياة جديدة تختلف تمام الاختلاف عما تمناه بقية الفلاسفة للأرومة البشرية، وما «الفردوس السومري» إلا نظرة فلسفية جديدة تصور حالة سامية من حالات الإنسانية التي لا «ينعب فيها الغراب، ولا تنقل أخبار الموت، الأسد لا يفترس، والذئب إلى جانب الحمل، والكلب الوحشي إلى جانب الجداء، لا أرملة هناك ولا مريض، ولا مصدوع ولا شيخوخة». وأنها لعمري حياة لا تتحقق إلا في عالم الأرواح إنها مثال للحياة الجديدة التي يتخيلها الفيلسوف السومري، ويتمناها للإنسانية، وإن كانت بعيدة عن واقع الإنسانية في هذا العالم.

أما إذا عدنا إلى الحياة الواقعية، وسرنا قليلاً مع المعلم السومري، نجده يصدر تعليماً سامياً (لابنه) ولكل إنسان، يرغب أن

يكون ابناً للحكمة في هذا العالم، فإن «مشورات الحكمة» لإنموذج سامٍ للفلسفة الواقعية، وهو التعلق بالحياة الفردية لكل إنسان، وينبهه إلى أمور تحدث له كل يوم أو كل ساعة من حياته، وخلاصة القول إن هذا التعليم لا يختلف عن التعاليم الحكمية الواردة في الكتب المقدسة.

إن التعاليم القيمة التي جاءت بها هذه «المشورات» لثمينة جداً، فقد حوت روحية سامية وتفكيراً سليماً وناضجاً، يصلح درساً لكل الأمم، ولكل الأجيال، ولا غرو فإن جذورها متأصلة عميقاً في الأجيال السومرية السابقة وأغصانها ممتدة إلى الأجيال الأشورية المتعاقبة. كما نجد ذلك في كثير من الأسفار الحكمية في العهد القديم، وما ذلك إلا لأن كتاب الله يحترم الأرومة البشرية، ويعتبر الحكمة قوة روحية أسمى من المكان والزمان، بل هي ملك عام لكل هذه الكائنات العاقلة وعليه لا يجد رجال الله غضاضة في استمداد الحكمة التي ألفها الإنسان منذ أقدم عصوره.

إن هذه «المشورات» تبشر بالتسامح وضبط النفس والابتعاد عما يسبب الشر، ويوقع في التهلكة، وهذا بعينه ما بشرت به الكتب المنزلة فقد ورد في هذه «المشورات» قولها: «لا تقف حيث توجد مشاجرة» لأن المتشاجرين سيتخذونك راوية للمشاجرة، ثم يجلبونك شاهداً، ويقدمونك إلى المحكمة حيث لا مصلحة لك[1]. وعليه، عندما تصادفك مشاجرة أسرع وامض في طريقك،

(1) انظر الأعداد 33 ـ 35 من أرقام الحكمة.

ولا تعرها انتباهاً، وإذا كانت المشاجرة تخصك فاسرع بإطفاء الشرارة.[1]

أما المسامحة التي يعلنها هذا التعليم فلا تقل قيمة عما أعلنته كتب الوحي: «لا تجاز الشر لمن يخاصمك» وكأني به يقول: «لا تجاز الشر بالشر»[2] و«قابل بالعطف من يقابلك بالشر» و«تمسك بالعدالة تجاه عدوّك» و«ابتسم بوجه خصمك» و«الذي يرغب لك بالشر فأطعمه»، وكأني به يقول: «إذا جاع عدوك فأطعمه، وإذا عطش فاسقه»[3]. وهذه لعمر الحق أبلغ حكمة وأسمى فلسفة خلفتها الأجيال السومرية.

ولا يفوتنا أن نمر ببعض الفقرات التي وردت في هذه الحكمة البالغة وهي تختص بحياة الفرد من وجهة سلوكه الاجتماعي، وبالتالي لها علاقة وثقى مع الجماعة البشرية، فبالإضافة إلى التسامح الذي تعلمه هذه الحكمة، تعلم كذلك العطاء «من سألك فأعطه»[4].

ثم تتناول تأليف الأسرة البشرية الكريمة من حيث اختيار

---

(1) انظر الأعداد 36 ـ و37 ما ورد أعلاه.

(2) إنجيل متى الإصحاح الخامس العدد 39: «أما أنا فأقول لا تقاوموا الشرير». وكذلك بقية الأقوال الواردة بالنص الإنجيلي.

(3) من تعاليم القديس بولس الرسول لتلميذه طيماثاوس.

(4) انظر العدد 62، وعظة السيد المسيح على الجبل في إنجيل مار متى (الإصحاح الخامس ـ السابع) ومنها: «من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تمنعه» (متى: 5: 43).

الزوجة الصالحة، والتمييز بين الزوجة الأمينة وغير الأمينة. وقد لا نجد مثل هذه التعابير الخاصة بالزوجة إلا في حكمة أحيقار وأمثال سليمان، فلا مشاحة إذا وضعت الحكمة السومرية هذه إزاء تلك الحكم البالغة وهي سابقة لها بضعة أجيال من حيث الزمن[1].

وما خلا ذلك فإن هذه الحكمة أو الفلسفة تعلّم الرحمة، وأعمال الرحمة: «واصل الخدمة كل أيام حياتك»[2]، وتوصي بالصدق والصراحة في مخاطبة الناس، وتنهي عن الخداع: «لا تحصر تفكيرك بالخداع لأن الأمر سيتضح بعد ذلك، وسيعرف خداعه بعد حين».

كما تنهي عن القذف والتشهير، «تكلم بطيب الأحدوثة» و«لا تتفوه بالشر، تكلم حسناً عن الناس» و«تجنب الكلام الباطل واحفظ شفتيك» و«لا تنطق بقسم مغلظة».

وتمنع هذه الفلسفة أو الحكمة عن الغش والنفاق، وتأمر بالوفاء بالوعد؛ «مع الصاحب والصديق لا تتكلم بالغش» و«لا تنطق بالنفاق بل تفوه بما هو لائق» و«إذا وعدت أوفي»[3].

والحق في عرف فلسفة السومري ـ كما هو في عرف كل إنسان متمدن ـ كل شيء في الحياة، وعليه تعتبر الحكمة والفلسفة

---

(1) انظر الأعداد 66 ـ 78 من الحكمة في متن البحث.

(2) انظر الأعداد 65.

(3) انظر الأعداد 127 ـ 133.

السومرية الحق، الحياة بالذات: «من سار مع الحق ربح الحياة»[1] ويشرح الدكتور غوردن هذه الحكمة بقوله: «إن الذي يعيش طبقاً للنظم الطبيعية العامة، والحق الثابت، يربح لنفسه كل الأمور الصالحة في الحياة، وبعبارة أخرى إن السومري يعتبر الحق هو الحياة بالذات والحياة هي الحق»[2].

ومما لا مراء فيه، أن الوعظ قد كثر في الحث على الكدّ والمثابرة في جميع الأزمان والأمكنة، والمثل السومري الآتي من خير ما قيل بهذا الصدد: «يد على يد يمكنها أن تتم بناء بيت المرء، ومعدة على معدة تخرّب بيت المرء»[3].

وإليك القول المأثور عمن يريد ألاّ يكون أقلّ من جاره: «من شيد كما يشيد السيد، عاش كالعبد، ومن بنى كما يبني العبد عاش كالسيد»[4].

وعن الحرب والسلم، وجد السومريون القدماء أنفسهم في المأزق نفسه الذي يحدق بنا. فمن جهة كان أخذ الأهبة والاستعداد للطوارئ لازمين للمحافظة على النفس، والدفاع عن الأرض (الوطن) كما جاء على لسانهم: «الدولة الضعيفة في العدة والسلاح لا يمكن أن تطرد العدو من أبوابها»[5] ومن الجهة الأخرى كان

---

(1) Gordon, p 41. No 1.1.

(2) Gordon, p 41. No 1. 1.

(3) راجع المتن من هذا البحث.

(4) راجع المتن من هذا البحث.

(5) راجع المتن من هذا البحث

عبء الحرب وما يتميز به من مبدأ «الواحدة بواحدة» من الأمور الواضحة فيها، ولذلك جاء في أمثالهم: «تذهب فتستحوذ على أرض العدو ويأتي فيأخذ أرضك»[1].

ولكن سواء كانت هناك حرب أم سلم فأنه يلزم الفرد ألا يغفل شؤونه فلا تخدعه المظاهر، وقد عبّروا عن ذلك بقولهم المأثور: «لا يمكن أن يكون لك سيد أو قد يكون لك ملك، ولكن الرجل الذي يخشى منه هو جابي الضريبة»[2].

رابعاً: الحكمة في الأدب الهزلي

إن ما وصل إلينا من الأدب الهزلي، قليل، ومعظمه نسج حول الحيوانات وعلى ألسنتهم كالأسد والفيل والثعلب والكلب وغيرهم، وهو أقدم أدب هزلي من العصور القديمة بشكل حكاية لها مغزى حكمة حياتية ما زالت حية بيننا.

ومن هذه مثلاً:

1 ـ «أراد الفأر أن يهرب من النمس[3] فدخل جحر الأفعى، ولما رأى نفسه وجهاً لوجه أمام الأفعى قال لها: لقد أرسلني الحاوي مع التحية»[4]. حيث يحاول الكاتب هنا أن يصف وضع الرجل الذي يقع في مشكلة أخرى حال خروجه من واحدة.

---

(1) راجع المتن من هذا البحث

(2) صموئيل نوح كريمر، ألواح سومر، ترجمة طه باقر.

(3) النمس: حيوان يشبه الجرذ ولكنه مخيف وبأنيابه السمّ.

(4) مجلة سومر، من أدب الهزل، ص 90.

2 ـ أراد المنس أن يهرب من الكلب فدخل في بربخ، فقفز الكلب خلفه، لكنه وقع في فوهة البربخ، فانحبس، وترك النمس يهرب»[1].

3 ـ جلست البعوضة على ظهر الفيل وقالت له: أخي هل النمس أزعجك؟ وإذا كان الأمر كذلك فأني سأنزل عند مورد الماء. فقال لها الفيل: لم أكن أعرف أنك جالسة هنا، من أنت على أية حال؟ وسوف لا أعرف عندما تنزلين»[2].

4 ـ «تبوَّل الثعلب يوماً في البحر، وبعد أن انتهى فكر برهة وقال: تأمل كل هذا البحر من بولي»[3].

ومعنى المثلين السابقين أن لا قيمة للبعوضة بالنسبة لفيل ولا يزيد البحر من بول الثعلب.

5 ـ «همس الحصان في أذن الأتان وهو على وشك أن يتزوجها فقال: عسى أن تلدي مهراً عدّاء مثلي، وعسى أن لا يكون كالحمار يعاني من حمل الأثقال»[4].

6 ـ «كان أحد الكهان يسير في الصحراء ذاهباً إلى المدينة، رأى الأسد، فارتعد منه خوفاً، وعندما وصل الكاهن إلى المدينة

---

(1) مجلة سومر، المصدر السابق، ص 92.
(2) راجع المتن من هذا البحث.
(3) راجع المتن من هذا البحث
(4) مجلة سومر، من أدب الهزل، ص98.

رأى عند بوابتها تمثالاً لأسد رابض، فتقدم منه، وضربه على وجهه قائلاً: ما الذي كان يفعله أخوك في الصحراء»[1].

7 ـ «بعد أن خلق آنو السماء

وبعد أن خلقت السماء الأرض

وبعد أن خلقت الأرض الأنهار

والأنهار خلقت القنوات

والقنوات خلقت المستنقعات

والمستنقعات خلقت السوس (الدودة).

ومضى السوس باكياً إلى شمش

وذرف الدموع في حضرة آيا

ماذا تعطيني لطعامي؟

ماذا تعطيني لشرابي؟

سأعطيك شجر التين الناضج

أو أعطيك المشمش

بماذا يفيدني شجر التين؟

بما يفيدني المشمش؟

دعني أصعد واتخذ لي مسكناً

---

(1) راجع المتن من هذا البحث.

بين الأسنان وعظام الفك

حيث أمتص دماء الإنسان

وأنخر فيها عند جذور الأسنان وعظام الفك. . .[1].

والجدير بالملاحظة من ناحية المقارنة بين الحضارات أن السومريين لم ينظروا إلى «الكلب» على أنه «خير صديق للإنسان» بل نظروا إليه بالأحرى على أنه غير أمين للإنسان، كما يؤخذ من أقوالهم المأثورة مثل: «الثور يحرث والكلب يخرب خطوط الحرث العميقة»[2] والمثل الآخر: «الكلب هو الذي لا يعرف بيته»[3]، والثالث: «لا يستطيع كلب الحداد أن يقلب السندان، ولذلك فهو يقلب إناء الماء بدلاً منه»[4].

وإذا ما بدت لنا نظرة السومريين إلى الكلب أنها غريبة عما هو متعارف بيننا، فقد عبروا عن جملة خوالج وإحساسات نفسية نجدها مطابقة في الواقع لمشاعرنا وخوالجنا، على الرغم من أنهم صوروها بتعبيرات مختلفة مثل قولهم: «الملاح يسعى إلى

---

(1) إن هذا النص هو مقدمة لتعويذة مخصصة لشفاء ألم الأسنان، والنص يحكي شعراً من حكاية التكوين وبدايات الأشياء، ويعود لأصول وجع الأسنان وكيف ظهره وخاتمته: «أدخل الابرة وأمسك السوس لأنك نطقت بهذا أيها السوس فليسحقك آيا بجبروته وعزم يديه». . .

وطريقة العلاج هي: «احضر بيرة وزيتاً وامزجهما معاً، واتل التعويذة ثلاث مرات، وضع المزيج على الأسنان. . .

(2) راجع المتن من هذا البحث.

(3) راجع المتن من هذا البحث.

(4) راجع المتن من هذا البحث.

الخصام»[1] الذي يضاهي المثل القائل «يقاتل البحار عند سقوط قبعته»[2].

وهناك القول المأثور للسومريين: «إنه لم يمسك بالثعلب بعد، ولكنه يعدّ له الحبل الذي سيضعه في رقبته»[3]

الخلاصة:

هذه هي الحكمة بعينها، والفلسفة الحقة بذاتها، ولا نعتقد أن فلسفة أخرى جاءت بمثلها، اللهم إلا ما أنزل في الأسفار الإلهية، فلا غرو والحالة هذه أن تكون فلسفة وادي الرافدين إبان الأجيال السومرية فاتحة عهد الإنسانية بالتفكير السليم والإنسانية الكاملة، وأن الأجيال اللاحقة (الأكديين والأشوريين) المتعاقبة في وادي الرافدين نسجت على منوالها، الأمر الذي أثر في النفوس أبلغ تأثير، فأيدته الأسفار الإلهية وفضلت أن تنطق بمثله لكونه فاتحة عهد الإنسانية بتعليم السلوك القويم، ولا غضاضة في ذلك على الأسفار المنزلة لأن الله إنما فضل النطق بلغة البشر وبما اعتادوا أن يسمعوه من أجيالهم السالفة بقصد هدايتهم وتوجيه أفكارهم إلى الخير والفضيلة.

دير الشرفة/ لبنان
الاثنين 27 كانون أول 1993

---

(1) مجلة سومر، مقالة الدكتور فاضل عبد الواحد علي، من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين، ص 87 ـ 100.
(2) مجلة سومر، المصدر السابق.
(3) صموئيل كريمر، ألواح سومر، ترجمة طه باقر.

ملحق رقم «1»

أيوب السومري والبابلي

الإنسان وإلهه «لولو نماه دنجيره»

هذه القصيدة وجدتها بعثة جامعة بنسلفانيا في مدينة نيبور 160 كلم جنوب بغداد. وتتألف من 139 سطراً مدونة على ستة ألواح، أربعة منها في متحف الجامعة في بنسلفانيا واثنان في متحف الشرق القديم في استانبول، وقد جمع ما أمكن من الألواح الستة.

إن أهمية القصة السومرية البالغة تكمن في كونها أول محاولة مدوّنة للإنسان في معالجة موضوع العذاب والخضوع الذي اشتهر في الأدب الديني في العالم بسبب سفر أيوب، رغم أنها دوّنت قبل سفر أيوب بألف عام.

ويرى الشاعر السومري أن ليس للضحية المعذب مهما تراءى له أنه لا يستحق ما حلّ به، سوى سبيل واحد لائق يسلكه وهو أن يمجد ربه دوماً ويتابع البكاء والتضرع والاستغفار منه متى يستجيب له، وذلك الإله هو الإله الشخصي الذي يرعاه ويحميه ويشفع له في مجلس الآلهة.

يعرض الشاعر قصة رجل لم يذكر اسمه، كان غنياً موسراً حكيماً وصالحاً، ينعم بصفاء العيش مع الأصدقاء وذوي القربى، ثم أحدقت به المصائب والأسقام فلم يجدّف أو يعترض على الإله بل توجه إليه بذلة وخضوع، وناح وذرف الدموع وتضرّع، فسرّ إلهه لذلك وشمله برحمته واستجاب لصلواته فخلصه من بليته وأحال عذابه إلى فرح وسرور.

وبعد أن يحث الشاعر الإنسان على الالتزام بتمجيد ربه، وابتغاء رضاه بالتضرع والتوبة يقدم قصة الرجل المجهول، ثم التماسه المغفرة.

ونحن هنا لا نذكر من القصيدة الطويلة، سوى المقاطع التي تتفق وموضوعنا «الحكمة أو الفلسفة» لما فيها بالفعل من حكمة هذا الرجل الصالح وعمق تفكيره الإنساني وارتباطه بالله الذي منحه الحكمة مع الألم، والسرور مع الصبر.

«إنني رجل عارف مدرك،

لكن الذي يحرمني لا يفلح

لقد تحولت كلمتي الصادقة كذباً

لقد اكتنفني الرجل المخادع بـ«الريح الجنوبية»

وأنا مكره أن أخدمه

والذي لم يوقرني قد أخزاني أمامك..

لقد غمرتني بالعذاب المستديم المتجدد

أدخل البيت وأنا مثقل بالأحزان

وأخرج إلى الشوارع وأنا معذب القلب

لقد غضب عليّ راعي الصالح الصنديد

ونظر إليّ نظرة العداء.

لقد ساق عليّ راعيّ قوى الشر

أنا الذي لست عدوّه،

وصاحب لا يقول لي كلمة صدق

وصديقي يقول عن صدقي إنه كذب وزور

لقد تآمر عليّ الرجل المخادع

وأنت يا إلهي لا تحبط مسعاه

أنا الحكيم لَمَ أقيد مع الأحداث الجهلة

أنا المدرك لمَ أحسب مع الجهال

الطعام وفير في كل مكان

ولكن طعامي الجوع

في يوم «القسمة» كان نصيبي العذاب والألم

يا إلهي أريد أن أقف بين يديك

أريد أن أكلمك

وكلمتي أنين وحسرة

أريد أن أعرض عليك أمري

وأندب مرارة سبيلي

أريد أن أندي اضطراب نفسي

على أمي التي ولدتني

أن لا تكف عن الرثاء لي أمامك

لتكف أختي عن الترنم وترديد الأغنية السعيدة

ولتبكِ وتنح بمصائبي بين يديك

لتصرخ زوجتي بالرثاء لعذابي

وليندب المغني الماهر نصيبي التعس

يا إلهي يشرق النهار نيّراً على البلاد

لكن نهاري مظلم،

الدموع والنواح والجزع والغمّ ملازمة لي

يحدق بي العذاب كمن لا يقدر له سوى الدموع

الحظ السيئ يمسك بي ويسلبني حتى نفس الحياة

والمرض الخبيث يعمّ جسدي

يا إلهي، يا من أنت أبي الذي ولدني،

ارفع وجهي

كالبقرة البريئة بعطف

إصغ لأنيني

إلى متى ستهملني وتتركني بدون رحمتك وحمايتك؟

إلى متى ستتركني بدون هدايتك؟

لقد قال «الحكماء الصناديد» كلمة حق وصدق

لم يولد لأم طفل بلا خطيئة

والطفل البريء لم يوجد قط منذ القدم. . .

إن ذلك الرجل،

قد استمع إلهه لبكائه ومُرّ دموعه

إن ذلك الشاب،

قد استرضى نواحه قلب إلهه

وتقبّل منه إلهه كلماته الصادقة الطاهرة

إن الكلمات التي اعترف بها الرجل في صلاته

قد أفرحت. . لحم إلهه

فسحب يده من كلمة الشر

لقد طرد شيطان المرض الذي نشر عليه جناحيه

والمرض الذي ضربه به قد أزاله وبدده. . .

وبدّل مصير السوء الذي قدّر عليه بموجب حكمه

وبدّل عذاب الرجل فرحاً وحبوراً

وأقام إلى جانبه الملاك الحارس ليحميه ويحرسه

زوده. . . بملائكة سيماؤهم خيّرة. . .

وقد روى القصة نفسها شاعر بابلي بعنوان «لود لول بيل نمقي» (سأمجد ربّ الحكمة) حيث ينتهي الرجل الثري المصاب بان يشفق عليه الإله مردوخ وينقذه من آلامه. وهذا هو النص:

لود لول بيل نمقي
«سأمجد رب الحكمة»

«نظرت خلفي فإذا الصعاب تطاردني

وكان ما من قربان قدمت لإلهي

أو لمْ يسمع باسمي آلهتي عند الطعام

وكأني لم أخرّ على وجهي راكعاً

وكأن سجودي لم يكن للعيان واضحاً

أو كامرئ خرس لسانه وسدّ فوه عن الترجي والصلاة

وأبطل الأعياد وأهمل التضحيات

كذلك الذي لم يناجِ ربّه

حتى وهو يلتهم طعامه

تاركاً ربته دون أن يقدم لوحاً لها

مقسماً بإلهه المقدس، بكل خفّة وبساطة،

هكذا ظهرت أنا

ولكني لا أفكر إلا بالتوسل والصلاة..

لقد كانت الصلاة إحساسي

والقربان واجبي بالحياة

كان يوم تقديس الإله رغبتي القلبية

وعرس ربتي لي ربح وغنى وحمية

كانت الصلاة من أجل الملك.. لي فرحة

والعزف على الأوتار.. لي رغبة

إن ما يبدو للإنسان خيراً

هو عند الله محتقر

وما يهمل في قلبه

هو عند الله خير

من يعلم إرادة الآلهة في السماء؟

من يفهم خطط الآلهة في العالم السفلي؟

متى يعلم الناس طرق الآلهة؟

كيف يستطيعون الإحاطة بتغير إرادتها؟

فمن عاش بالأمس

قد أصبح اليوم ميتاً صريعاً

لقد أظلم فجأة وانسحق سريعاً

في لحظة ما تراه يغني ويلعب

لتجده بعدها في «النو» يولول كالأم الثكلى

وكما تتبدل الضياء والظلمة

هكذا تتغير الإرادة

هذه الأشياء تذهلني

ومغزاها فوق إدراكي . .

ملحق رقم «2»

الأمثال والحكم والنصائح السومرية

ثمة رأي لعالم السومريّات صمويل كريمر[1]، بعد دراسته المتعمّقة للقصص الميثولوجيّة التي توافرت له في الأربعينات من القرن العشرين، يقول: «هناك سبب وجيه للاعتقاد، بالنسبة للمعطيات المختلفة الأزمنة، بأن هناك منطقاً جيداً كان خلفها، وليست مجرّد عبث ترفيهي».

وهذا الرأي ذاته يكمن خلف جميع المرويات والنصوص البابلية، على اختلاف الشعوب التي شاركت فيها، إذ هي جميعاً تقوم على أساس الثقافة السومرية التي لم يبرز أي موقف عدائي تجاهها لدى أي شعب من الشعوب، سواء تلك التي نشأت حضاراتها وقوتها في أرض العراق أم تلك التي احتلّت البلاد بالقوة، كالكاشيين والفرس في العهد القديم.

(1) Kramer (SN), Sumerian Mythology, p 75, Ed, The American Philosophical Society, Philadelphia, 1944.

وأبرز مثال على المنطق الإنساني العملي الذي ينظّم النصوص التي وصلتنا نجده في الأمثال الدارجة والحكم التوجيهيّة التي تتضمنها أقوال قصيرة عابرة. ومع غياب جمالية الجناس اللفظي لهذه الأمثال، وهو شرط أساسي لتناقلها فإننا ما زلنا نجد في جمالية مدلولها ما يكفي لبقائها حيّة ومفيدة، في أية لغة تمّ عرضها.

ويبدو أن هذه الأمثال كانت ذات شأن في الأدب السومريّ، إذ وجدت منها مجموعات متنوّعة تحتوي على أكثر من ألف مثل، مسجلة على ألواح من الطين المشوي، كان الطلاب السومريّون يتدرّبون على كتابة بعضها[1]. وهي تعالج مواضيع مختلفة ومشاكل يوميّة تعترض الإنسان. وفي استعراض لبعضها هنا نكتشف سلوك الذهنيّة السومريّة التي قامت عليها الحضارة البابليّة فيما بعد.

«سأحفظ أمتعتي جديدة، وسنستعمل أمتعتكم. (هكذا هي المشاركة في المنزل).

- لم تقل لي ماذا وجدت، لكنك تقول لي ماذا أضعت.
- الممتلكات هي كالسنونو لا تجد مكاناً تحط فيه.
- لا تلتقطها (النواة) فهي غداً ستحمل ثمراً.
- الذي يأكل حتى التخمة يحرم من النوم.
- ليس القلب هو الذي يقود إلى العداوة، وإنما هو اللسان.

---

(1) Kramer (SN) The Sumerians, pp 224 - 228, Ed. The University of Chicago Press, 1963.

- قل كذبة واحدة، وبعد ذلك عندما تقول الصدق سيعتبر كذباً.

- تدخل الذبابة في الفم المفتوح.

- الآتي من بلاد بعيدة كذاب بطبيعته.

- إذا بنيت بيتاً كزعيم تعيش كعبد، وإذا بنيت كعبد تعيش كزعيم.

- بيد مع يد يبنى البيت، وبمعدة مع معدة، يأتي خرابه.

- من يأكل قليلاً يعمر كثيراً.

- الصداقة تدوم يوماً، والقرابة تدوم إلى الأبد.

- من لديه كثير من الفضة يعش مبسوطاً، ومن لديه كثير من الحبوب يعش فرحاً، لكن من ليس لديه شيء ينام بهناء.

- الكلمة العذبة صديق لكل إنسان.

- القلب المحبّ يبني البيت، والقلب المبغض يدمّره.

- التنزه في الصحراء حياة للإنسان، والحذاء للإنسان هو عينه، الزوجة هي مستقبله، والابن هو ملجؤه، والابنة هي خلاصه، والكنَّة هي شيطانه.

- تزوج امرأة حسب اختيارك، يولد لك ابن حسب رغبات قلبك.

- الجانح، ما كان على أمه أن تلده، وما كان على إلهه أن يكوِّنه.

- الكاتب الذي لا يعرف السومريّة، أيّ نوع من الكتّاب هو؟

- الكاتب الذي تتحرّك يده مع حركة الفم (الشفتان) هو الكاتب المناسب لك.

- المغني الذي ليس لديه صوت عذب هو مغنٍّ فقير في الواقع.

- المدينة التي لا تكون لها كلاب يحرسها الثعلب.

- داس الثعلب على حافر الثور البرّي وسأله «هل هذا آلمك؟».

- القطة ـ على أفكارها (تحاسب)، والنمس على أفعاله[1].

ليس في هذه الأمثال والحكم ما يحصرها في بيئة معيّنة، إذ هي تجارب عامة لمجتمع مستقرّ، متوازن، متضامن اجتماعياً وعائليّاً.

وفيها من عمق التجربة ما لا يتجاوزه الزمن، ومن الجمالية ما يرقى إلى مستوى التورية الشعرية، مثل «اختيار الابن باختيار الزوجة»، أو «القطة والنمس»، حيث ظهور القطة ينبئ عنها، بينما أحافير النمس تشير إلى وجوده، وأمثالها. ووفق هذا النمط من الحكم والأمثال تأتي الأقوال الأكّادية وهي كالنماذج التالية:

- «بئري لم تجف بعد، وعطشي ليس شديداً.

(1) Kramer (S.N) The Sumerians, pp 224 - 228, Ed. The University of Chicago Press, 1963.

- ارتخت الشبكة، لكن القيود بقيت محكمة.
- حصلت على رهن، لكن الخسارة لم تتوقّف.
- إذا كنت أنا ذاتي لم أذهب، فكيف يكون قد ذهب معي؟
- كرّس المعبد قبل أن يبنيه.
- إذا لم يكن، بالفعل، قد وقف، فمتى يرتفع ويجلس على كرسي الوجاهة؟
- يا صديقي، سرّي لا يحفظه لي عدوي، ولكن ابني أو ابنتي.
- الثمر في الربيع هو ثمر حزين (قبل أوانه).
- القناة باتّجاه الريح تجري فيها الماء بغزارة.
- من لا يبذل جهداً لا يحصل على شيء.
- الذي ليس له ملك أو ملكة، من يكون عندئذ رئيسه؟
- لا تعمل السوء مع شيء، فلا يدخل الغم إلى قلبك.
- لا تعمل الشر، وعندئذ لن تعاني من سوء الحظ الدائم.
- حملت بدون جماع، وسمنت بدون طعام (المستحيل).
- لما أعمل يأخذون أجري، فلما أضاعف جهدي، من سيعطيني، وأي شيء؟
- هو محظوظ في أي شيء، ما دام يلبس بذلة جميلة.
- هل تضرب بالمقرعة وجه ثور منطلق؟
- ساقاي تتابعان السير، وقدماي لا تتعبان، وحتى الآن هناك غبي يلاحقني بالأحزان.

- مع أني جواد أصيل، فهم قرنوا معي بغلاً، وأجبروني على جرّ عربة مشحونة بالقصب.

- أسكن بيتاً من الطوب المشوي والقار، ومع هذا... يسقط عليّ تراب من السقف.

- الحياة السابقة ليوم أمس هي ككل يوم من الأيام، (لا جديد تحت الشمس).

- مع أنك في قلب الساقية فمياهك غدت منتنة. ومع أنك في بستان تمور، تمورك غدت مرّة.

- إذا لم تكن البذرة سليمة لا تعطي نبتة وحبوباً.

- (البخيل) على شفا الموت يميل لأكل كل ما لديه، ولكن حين يتعافى يفطن إلى الاقتصاد في طعامه.

- المدينة التي ليس فيها سلاح وقوة، لا يرتد العدو عن بابها.

- أنت تذهب وتسرق حقل العدو، والعدو يأتي ويسرق حقلك.

- هديّة الملك تحسِّن عمل الساقي لديه.

- الصداقة هي ليوم، ولكن العبودية هي لكلّ الأيام.

- حيث يوجد الخدّام يوجد الشجار، وحيث يوجد التجّار توجد المساومة.

- المواطن الصالح في مدينته يكون رئيساً في مدينة أخرى.

- الثور الغريب يأكل الزرع والثور الخاص ينام في المرعى.

- إذا دخل كلب الفخّاري الفرن (الساخن) ينبح حتى على صاحبه.

- المرأة الفاجرة يرتفع صوتها على صوت زوجها أمام بيت القاضي.

- الرجل (السيّد) هو ظل الإله والعبد هو ظل الرجل، أما الملك فهو صورة الإله.

- كرجل عاقل اجعل فهمك يلمع بتواضع، واجعل لفمك كمامة، وحافظ على كلماتك.

- كالثروة للإنسان اجعل شفتيك ثمينتين.

- اجعل من التهجّم والكره عدواً لك.

- لا تتحدّث بشيء غير مطلوب، ولا تنصح بغير المضمون.

- الذي يعمل شيئاً كريهاً يجلب الاحتقار لرأسه.

- لا تسرع إلى الوقوف في مجتمع عام، فلا تصل إلى مكان الشجار.

- في الشجار، عليك أن تأخذ قراراً. وإلاّ تكون مجبراً على أن تكون شاهداً لهم.

- سيبحثون عنك لتشهد في قضية لا علاقة لك بها.

- عندما ترى مشاجرة ابتعد عنها، ولا تراقبها. وإذا كانت تخصّك أطفئ اللهب فيها، لأن الشجار هو إهمال ما هو حق.

- تصوينة الدار تستر عري الإنسان أمام عدوه.
- لا تعمل لعدوك شراً. فعملك يكون مكافأة له. احرص على العدالة حتى لعدوك.
- لا تتزوج بغياً، فأزواجها ستة آلاف.
- امرأة (معبد) عشتار موقوفة للإله، بغي مقدسة خصالها لا حدود لها، فهي لا تخرجك من اضطرابك: في المشاجرة تشوّه سمعتك. والاحترام والطاعة غير موجودين لديها، فإذا تملّكت البيت، في الواقع، اطردها خارجاً. فنحو خطى الغريب يتّجه عقلها. والبيت الذي تدخله يناله الخراب، وزوجها لا ينجح.
- لا تفتح فمك واسعاً، واحفظ شفتيك؛ لا تنطق بكلمة تخصك، حتى ولا لنفسك.
- ما تقوله الآن بسرعة ستستعيده أخيراً، وعليك أن تلجم عقلك عن الجهد للكلام.
- عندما تقرأ تفحَّص اللوحة.
- الذي يخاف الإله لا يحتقره الإله، والمتعبّد للأنوناكي يطيل أيامه.
- إذا وعدت أعطي.
- وإذا شجعت ساعد»[1].

---

(1) A.N.E.T pp.425 - 427.

لقد اختلفت ترجمة هذه الأقوال بين مترجم وآخر. ونجد أحياناً المعنى مختلفاً للمثل الواحد. ولذا لم نلتزم أحياناً بحرفية الكلمات، حين الشك بأنها ليست المطلوبة في المعنى المقصود، بل عمدنا إلى اختيار الوضوح في المعنى، ولم ننقل الأمثال أو النصائح المعقَّدة وغير المفهومة. كما هنا نشير إلى ظهور كتب عديدة تعالج مواضيع الحكمة البابليّة، لكن هذه الكتب اقتصرت على اعتبار أقوال الحكمة آداباً وحسب، دون محاولة للربط بينها.

وأبرز هذه الكتب حتى الآن اثنان، أحدهما بعنوان «أدب الحكمة البابليّة» للامبرت، والثاني الحكمة السومرية ـ الأكّادية لفان دايك. ومنهما نذكر بعض ما لم ينشره بريتشارد في مجموعة نصوصه:

ـ «لا تأكل دسماً، ولن ترى دماً في خروجك.

ـ ماذا تكون مكافأة من يخبر عن موت أحد الناس؟

ـ حفر بئراً، حيث لا توجد مياه.

ـ ظلّي الذي يلاحقني غدا ملاحقاً.

ـ الجرح بدون معالجة، هو كالجوع بدون طعام.

ـ في السنة الماضية أكلت ثوماً. وهذه السنة تلتهب معدتي.

ـ عندما ترتكب جريمة يحملها نهر دجلة إلى البعيد، ولكن عندما تمر فوقه تلاحقك الآلهة.

ـ هناك رجل يعول امرأة، ورجل يعول ابناً. والملك، خارج القانون، هو رجل لا يعول نفسه.

- فن الكتابة هو أم الخطباء وأبو العلماء.
- الشيء الذي لم يحصل منذ القديم هو أن تخرج فتاة صغيرة هواء في حضن زوجها.
- المتعلّم عربة والجاهل طريقه.
- المرأة المبذرة في المنزل أسوأ من كل الشياطين.
- أنت تجد شيئاً ويضيع، وترمي شيئاً إلى البعيد ويحفظ لك.
- رغبة الحاضر تنفّذ ورغبة الغائب تهمل.
- إذا كانت رموش الأم (صانعة البيرة) مرَّة فكيف تكون البيرة عذبة؟!
- إما أن يكون حيواناً أو يكون كاذباً.
- من يمسك بذنب الأسد يغرق ومن يمسك بذنب الثعلب ينجو.
- لما تُضرب النملة تعض اليد التي تضربها»[1].

وعن مجموعة فان دايك ننقل ما يأتي:

- «القوة والحصافة لا يتّفقان معاً.
- حيث يوجد الفم لا توجد اليد.
- الشراب يجعل البيت بهيجاً، والذي لا يعرف الشراب لا يعرف ما هو جيد.

---

(1) Lambert (W.G.) Te Babylonian Wisdom Literature, pp. 247 - 282, Ed. Oxford University Press 1960.

ـ عندما يأتي الخسوف يعلن عن يد الإله، للسيّد كما للعبد.

ـ قلبي عاقل، وفؤادي مليء بالنصائح، وقوامي متميِّز، وشفتاي تتكلّمان بجمل عذبة، فمن يكون الزوج الذي تقرُّ به عيناي»[1].

ونجد في الأدب الهزلي البابلي كثيراً من الحكمة، والذكاء في التخلّص من المآزق. ومن هذا الأدب كمثال ما يأتي:

ـ أراد الفأر أن يهرب من النمس فدخل جحر أفعى. ولما واجهها قال لها: بعثني الحاوي بتحياته إليك.

ـ جلست بعوضة على ظهر الفيل وسألته: هل أُزعجك يا أخي؟ إذا كان ذلك سأنزل عند مورد الماء. فأجابها: لم أكن أعرف انك موجودة هنا. وسوف لا أعرف عندما تذهبين.

ـ تبوَّل الثعلب في البحر، وبعد أن انتهى قال: إن كل هذا البحر من بولي.

ـ همس الحصان في أذن الحمارة، وهو يغازلها، فقال لها: عسى أن تلدي مهراً سريعاً مثلي، وليس حماراً يعاني من حمل الأثقال.

ـ كان كاهن يقطع طريقاً صحراوياً، ففاجأه أسد وأخافه، فارتعد. وعندما وصل إلى باب المدينة رأى صورة أسد

---

(1) Van Dijk , La Sagesse suméro - accadienne, pp 7 - 11,éd. E.J. Brill Leiden, 1953.

رابض عند مدخلها، فصفعه وقال له: ما الذي كان يفعله أخوك في الصحراء؟[1].

ونقرأ قصة شعبية من أدب «المقالب»، سابقة لما تضمنه الأدب الشعبي العربي في كتاب «علي الزيبق» أو «ألف ليلة وليلة» وأمثالهما:

- رجل فقير يدعى «جميل نينورتا» من مدينة «نفَّر»، جنوب العراق. كان ينام جائعاً عادة، فباع ثوبه الوحيد واشترى عنزة بنيّة أكلها. ولكنه فطن إلى أن التقليد يقضي بأن يدعو جيرانه، حين تكون لديه ذبيحة، ففضّل أن يهديها للمسؤول في المدينة، لعلّه ينال مكافأة. ولكن المسؤول اغتاظ واعتبرها محاولة رشوة، وصرفه. فهدّد المسؤول على مسمع من البواب. فوشى هذا به إلى المسؤول الذي ضحك منه استخفافاً.

- استأجر جميل عربة فخمة ليوم واحد فقط، ولبس أفضل ثيابه. واتجه نحو المسؤول، فاستقبله هذا استقبالاً فخماً يليق بالعربة وأقام له وليمة، عندما أعلمه أنه يحمل صندوق ذهب لمعبد الإله إنليل، فاستضافه المسؤول في بيته. وفي الليل، عندما نام الناس، فتح الصندوق وراح يصرخ مدّعياً أن لصّاً دخل البيت وسرق الذهب. وهو شق ثوبه، لإكمال

---

(1) سومر ـ جزء 1 و2 مجلد 26 سنة 1970، ص 89 ـ 99. من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين، بقلم الدكتور فاضل عبد الواحد علي.

الخدعة، وراح يركل المسؤول متّهماً إياه. فاضطر هذا أن يعوّضه بدل الذهب، ويعطيه ثوباً جديداً من ثيابه. ثم خرج من عنده.

- عاد إليه مرة ثانية حالقاً رأسه كالأطباء، ومعه بعض تجهيزات الطبيب. وأخبر البواب أنه طبيب من مدينة «إيسن» جاء خصيصاً لمعالجة المسؤول المصاب بجروح ورضوض. وقد طلب أن يعالجه في غرفة مظلمة، كي لا يتشفى به أصدقاؤه وأصحابه، كما يقول النص:

- ربط المسؤول بالحبال، ثم راح يضربه بقسوة. وهذا يصيح دون أن يسمعه أحد. ثم خرج سرّاً فاختبأ تحت إحدى القناطر. ثم نادى أحد المارة وأعطاه أجراً، وطلب منه أن يذهب إلى المسؤول، ويعلن له أنه هو الطبيب الهارب. وعندئذ صرخ المسؤول ولحق بالرجل هو والناس معه يصرخون، بينما الرجل يركض أمامهم، وقد مرّ قرب القنطرة. وحيث كان المسؤول عاجزاً عن الركض كالآخرين تأخّر عنهم، فقام له جميل من مخبأه وانقضّ عليه بالضرب والركل، حتى غشي عليه، وهكذا نفّذ تهديده الذي سخر منه المسؤول[1].

وكانت خلاصة التجربة البابليّة في آداب الحكمة ووقائعها

(1) سومر ـ جزء 1 و2 مجلد 26 سنة 1970، ص 89 ـ 99. من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين، بقلم الدكتور فاضل عبد الواحد علي.

العملية في ما وصل إلى عصرنا كتابة أو رواية منسوباً إلى الحكيم «أحيقار». وقد اشتهر هذا الحكيم في عدد من اللغات. وهو في الأساس آرامي، كان يعمل لدى الملك الأشوري سنحاريب (705 ـ 681 ق. م) كحامل لأختامه.

عرفه اليونان باسم «آخياكاريوس» والعبران باسم «إيقار». وعرف بالعربية باسم «حيقار» وهو اشتهر في بلاط «نينوى». ونسبت له قصة هي أقرب إلى الروايات الشعبية التي تتزايد تفاصيلها مع تناقلها على الألسن.

لم يرزق أحيقار بولد يرثه، فتبنّى ابن أخته «نادان»، وأخذ بتعليمه الحكمة ليحلّ محلّه، ويرث ثروته. وقد ارتقى نادان وغدا وزيراً، وحاملاً لأختام الملك. ولكنه كان سيئ السلوك، فزوّر رسائل، على لسان خاله، وأرسلها إلى ملك الفرس وملك مصر، داعياً إياهما للتجمّع في بقعة «نسرين»، ليسلّمهما المملكة، وختم الرسائل بختم أحيقار، خاله، الذي كان مشهوراً لديهما.

ولما حضر الملكان مع جيشيهما إلى المكان المعيّن انكشف الأمر للملك الأشوري، فأخبره نادان بأن خاله أحيقار هو الذي فعل ذلك عندئذ غضب الملك، وأمر أحد ضباطه بأن يبحث عن أحيقار ويقتله أينما وجده. وكان هذا الضابط يدعى «نابوسومسكون». فانطلق هذا مع رجلين يبحثون عنه. ووجدوه في أحد الكروم بعد ثلاثة أيام من البحث. وسأله الضابط إذا كان هو أحيقار ذاته الذي كان يقود دولة أشور بكلماته ومشورته. ثم أخبره بما فعله ابنه

نحوه. وعندئذ ذكّر أحيقار الضابط بأنه كان أنقذه مرّة من غضب سنحاريب والد أسرحدون. ثم طلب إليه أن يخفيه عنده في منزله إلى حين، لأن الملك لا بدّ من أن يحتاج إليه، ويسأل عنه، وعندئذ سيرضى عن فعلة الضابط.

استجاب الضابط لطلبه، واصفاً إياه بأنه «أبو دولة أشور وموجّهها». ثم أمر رفيقيه بذبح عبد خصي من عبيده والإدّعاء بأنه أحيقار، إذا طلب الملك رؤية الجثة.

اختفى أحيقار في بيت الضابط إلى أن احتاج الملك إلى مشورته، وقد سرّ عندما علم بأنه لا يزال حياً، وكافأ الضابط على عمله.

وكان فرعون مصر قد سمع بموت أحيقار، فبعث برسالة إلى الملك الأشوري يطلب منه فيها مطالب تعجيزية عسيرة. وعندئذ أرسل الملك الأشوري أحيقار إلى الفرعون باسم مستعار.

وهنا تبدأ حكمة أحيقار بالبروز وفق النمط المألوف في الحكمة البابليّة، وهذا ما جعل الباحث فان دايك يقول بأن أحيقار الحكيم الآرامي إنما كان يغرف حكمته من منبع الحكمة الأكّادية السومرية[1].

ـ كان الفرعون قد طلب بناء قصر له في الهواء. وكان أحيقار قد اصطحب معه نسراً ضخماً يستطيع حمل ولدين معاً.

---

(1) Van Dijk, op. cit 0

فأطلقه في الجو، وعلّم الولدين أن يطلبا من المصريين رفع مواد البناء إليهما لبناء القصر المطلوب.

ـ وسأل الفرعون عن حصان ملك نينوى، وعما إذا كان صهيله حقاً يسمع في مصر وترتجف منه أفراسها، فتسقط أجنتها، فاستمهله إلى اليوم التالي ليجيب. وقد أخذ قطّة وراح يضربها، فاشتهر أمرها، فسأله الفرعون عن سبب ذلك، فأجابه بأنها هرّة شريرة، افترست له ديكاً في نينوى، فاستغرب الفرعون ذلك، فأجابه بأن قصّتها ليست أغرب من قصة الحصان. وهكذا تعادلت الروايتان بالاستحالة.

ـ وطلب منه الفرعون أن يصنع له حبالاً من الرمل، فأدخل الشمس من ثقوب في جدار غرفة، أرضها مفروشة بالرمل الناعم، وراح يحرك الرمل، فبدا شعاع الشمس وكأنه حبل من رمل.

ـ وطلب منه أن يخيّط له رحى مكسورة، فطلب من الفرعون أن يأمر أحد صناعيّيه بانتزاع خيوط من حجر الرحى السفلى، كي يخيط بها الرحى العليا المكسورة.

ـ وكان يجيب عن كل سؤال تعجيزي بسؤال مماثل، إلى أن طلب منه الفرعون أخيراً أن يخبره عن شيء لم يفعله، وكلمة لم ينطق بها، فعاد إليه في اليوم التالي ليقول له: «إن ملك أشور بحاجة إلى المال، وبما أن الفرعون استدان منه مرّة، عندما وقع في ضائقة مالية، مبلغ تسعمائة قنطار من

الذهب فإنه يطلب إليه أن يوفي هذا الدين. فغضب الفرعون عندئذ، واستنكر هذا الإدّعاء، قائلاً: هذا أمر لم افعله، ولم يخطر لي ببال. فأجابه أحيقار: إذن خسرت الرهان، واعترفت بأنك لم تفعل هذا الأمر.

وعندئذ كشف أحيقار عن نفسه فكافأه الفرعون على حكمته. وعاد إلى نينوى منتصراً، وعاقب ناداناً. ومن حكمه الشهيرة التي وجدت على أوراق البردى في جزيرة «الفيلة» في مصر، وهي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد:

- ما هو أقوى من الحمار النهاق، الحمل (الذي يلقى عليه).
- الابن الذي يدرّب ويوضع القيد في قدميه هو الذي ينجح.
- لا تُعفِ ابنك من القضيب لئلا تفشل في إنقاذه من الشر.
- إذا ضربتك يا ابني فلن تموت، ولكن إذا تركتك لأهوائك فلن تعيش.
- تجد العقرب خبزاً فلا ترضى به، بل تجد شيئاً خسيساً وترضى به أكثر.
- الحمار يخضع للأتان بفعل حبها. وكذلك تفعل العصافير...
- الأسد يبقى في مكمنه يترصّد الغزال... يريق دمه ويأكل لحمه.
- الليونة هي منطق الملك، ومع ذلك هي أقوى وأحدَّ من سكين ذات حدّين.

- لقد ذقت حتى الحنظل، وأكلت البقل المرّ، فلم أجد ما هو أكثر مرارة من الفقر.

- لسان الملك ليّن، لكنه يكسر أضلاع التنّين، وهو كالوباء الذي لا يرى.

- الملك شبيه بالمحسن، صوته عالٍ دائماً. فمن يقف صامداً أمامه، إن لم يكن الله معه؟

- الإناء الصحيح يحفظ الكلمة في داخله، والمكسور يتركها تتسرّب إلى الخارج.

- رفعت الرمل وحملت الملح، ولكن ليس هناك ما هو أثقل من الهم.

- الحرب تعكّر المياه الصافية بين الرعاة الصالحين.

- كثيرة هي نجوم السماء التي لا يعرف الإنسان لها أسماء. وبالقول نفسه، كثيرون هم الناس الذين لا يعرفهم المرء.

- لا توتر قوسك، ولا تطلق سهمك على إنسان مستقيم، لئلا يأتي الإله لمساعدته ويعيده عليك.

- إذا كانت عينا الإله على الإنسان يستطيع أن يحتطب في الظلام بدون أن يرى...

- لا تكشف أسرارك أمام أصدقائك، لئلا يصبح اسمك محتقراً لديهم.

- لا تتخاصم مع من هو أكثر احتراماً منك.

- لا تصادق من هو أقوى منك لأنه سيأخذ سهمك ويضيفه إلى ما يخصّه.
- لا تحدّق طويلاً، لئلا يزوغ بصرك.
- لا تكن كبير الحلاوة لئلا يبتلعوك، ولا تكن شديد المرارة لئلا يبصقوك.
- إن كل ما يتصل بالرجل المستقيم يكون إلى جانبه.
- قال رجل مرّة لحمار وحشي: دعني أركب عليك
وسأعتني بك... فأجاب الحيوان الوحشي: احتفظ بعنايتك وعلفك، ولا تدعني أرى ركوبك
- ... لا تُرِ العربي البحر، ولا الصيدوني البادية، لأن عملهما مختلف»[1].

كما تنسب لأحيقار في الآداب السريانية الوصايا والحكم التالية:

- يا بني، أفضل للمرء أن ينقل الحجارة مع رجل حكيم من أن يشرب الخمر مع رجل أحمق.
- يا بني، إنك مع الحكيم لا تصبح فاسداً، ومع الفاسد لا تصبح حكيماً.
- يا بني، عندما يكون لك حذاء في قدميك قم بدوس الأشواك لتفتح طريقاً لأبنائك وأبناء أبنائك.

---

(1) A. N. E. T. pp. 427 - 430.

- يا بني، أكل ابن الغني حيَّة فقالوا: أكلها دواء ليشفى. وعندما أكلها ابن الفقير قالوا: أكلها ليسد بها جوعه.

- يا بني، لا تقترب من امرأة كثيرة الهمس، ولا من التي يكون صوتها عالياً.

- يا بني، إذا قابلك عدوك بالشر قابله أنت بالحكمة»[1].

هذه نماذج من الأقوال والحكم التي تنسب لأحيقار الآرامي، وريث فلسفة السلوك والتربية البابليّة، وسواء كانت له أم لغيره، فهي تمثّل طريقة التفكير والعمل في مواجهة المشاكل والصعوبات. وهي الطريقة التي كانت المثال لأتباع الحضارة البابليّة (السومرية ـ الأكّادية) طوال ما يزيد على ثلاثة آلاف عام.

وحين نجد بعض الأمثلة على لسان الحيوانات، أو النباتات والأشجار، كما في بعض المفاخرات، فإن هذا المنحى الأدبي الحكمي كان مألوفاً، وتشير إليه رسوم حيوانات، تمّ تشخيصها وهي تشترك في وليمة ويعزف بعضها الموسيقى أو ينقل الطعام، وقد أحصى الباحث في هذه الحضارة ثلاثة وثمانين مثلاً وقولاً يشترك فيها الكلب، وبعده يأتي بالبقرة، فالحمار، ثم الثعلب والخنزير والذئب. وبلغ المجموع 295 مثلاً، كان جمعها «غوردون».

وهو رأى أن «إيزوب» الإغريقي، الذي كان أول من كتب أمثلة

(1) Thomas (Winton), Document from Old Testament Times, pp. 271 - 274, Ed. Harper Torchbooks, 1961.

على ألسنة الحيوانات إنما كان متأثراً بهذه الأمثال ذات الأصل السومري، وبخاصة أنه عاش في آسيا الصغرى، وكان عبداً لشخص يدعى «عيادمون» كما يذكر ذلك هيرودت (2: 134) [1].

ونحن نجد حكماً تنسب لفلاسفة إغريق، بينما هي وردت لدى أحيقار ومنها ما حفظه لنا الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» منسوباً لديمقريطس: ـ «لا تكن حلواً جداً لئلا تبلع، ولا مرّاً جداً لئلا تلفظ» ـ ذنب الكلب يكسب له الطعام، وفمه يكسب له الضرب» [2].

ونجد بين الكتب المنسوبة لتيوفراسطس، تلميذ أرسطو، كتاباً باسم «أحيقاروس» عند ذكر هذه الكتب [3].

وقد وضعه سترابو في صفوف المتنبّئين والمصلحين الموجّهين، وذكره باسم «آخياكاروس البورسيبيني»، نسبة إلى مدينة «بورسيبا» الآرامية، على الأرجح [4].

---

(1) Kramer, (S. N), History Begins at Sumer, p. 127, Ed. Doubleday Anchor Book, New York, 1959.

إذا رغب المطالع بالإيضاح والفائدة راجع كتابنا «أحيقار، حكيم من نينوى» دار نشر بيسان (2005).

(2) الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص 121.

(3) Diogene Laerce, Vol 1, p 246, éd. Garnier Flammarion, 1965.

(4) Strabo, 16. 2, 39, éd. Loeb Classical Library, 1966.

جريدة المصادر والمراجع

1 ـ Samuel Noah Kramer, The Sumerians, University of Chicago Press, 1953.

2 ـ Edmon Gordon, Sumerian proverbs, The university Museum, University of Pennselvania - Philadelphia 1956.

3 ـ Edward Chiera, They wrote on clay, Chicago University Press, 1955.

4 ـ James B. Rrichard, Ancient Near East Texts, Prinston University Press, New - Jersey, 1950.

5 ـ Babylonian Wisdom Literature,

6 ـ المطران بولس بهنام، أحيقار الحكيم، بغداد، 1976.

7 ـ محمد وحيد خياطة، فجر الحضارة في سومر،

8 ـ الدكتور سامي سعيد الأحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، بغداد.

9 ـ الأساطير السومرية، ترجمة الدكتور عيسى سلمان التكريتي، بغداد.

10 ـ الدكتور وديع بشور، الميثولوجيا السورية،

11 ـ مجلة سومر، مقالة الدكتور عبد الهادي الفؤادي، بحث في الأمثال العراقية، المجلد 29، والمجلد 30.

12 ـ صموئيل نوح كريمر، ألواح سومر، ترجمة طه باقر، بغداد.

13 ـ مجلة سومر، مقالة الدكتور فاضل عبد الواحد علي، من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين.

14 ـ سهيل قاشا، الحكمة في وادي الرافدين، بغداد، 1983.

15 ـ د. حسن فاضل جواد، الأخلاق في الفكر العراقي القديم، بغداد، 1999.

16 ـ د. هاري و. ف. ساكز، الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وأشور) ترجمة كاظم سعد الدين بغداد، 2000.

17 ـ ادوارد شيرا، كتبوا على الطين، ترجمة.

فهرس الكتاب